سلسلة زاد المبلغ ٦

زادٌ وجهادٌ

في شهر الله

المركز الإسلامي للتبليغ

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

زادٌ وجهادٌ

في شهر الله

٦

المركز الإسلامي للتبليغ
www.almenbar.org

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: زاد وجهاد في شهر الله
إعداد ونشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الطبعة: الاولى تموز ٢٠١٢م ١٤٣٤هـ

زادٌ وجهادٌ

في شهرِ اللهِ

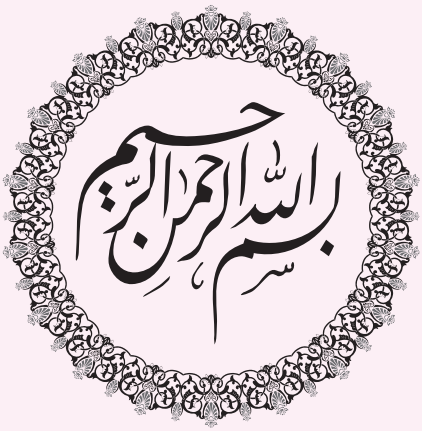
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيّد المرسلين محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين.

يحرص المركز الإسلاميّ للتبليغ، وجرياً على عادته في كلّ عام، سيّما مع اقتراب حلول شهر رمضان المبارك، على نشر إصداره السنويّ الذي يندرج ضمن سلسلة «**زاد المبلِّغ في شهر الله**» والذي يسعى المركز من خلاله إلى توفير بعض الموضوعات التي يناسب تناولها وتعميمها والحديث عنها خلال أيّام هذا الشهر الكريم ولياليه.

وفي كلّ عام يتمّ اختيار الموضوعات الثقافيّة التي نضعها بين أيدي الأخوة المبلّغين من خلال استقصاء مجموعة من الآراء والإحصاءات التي حاولت مقاربة القيم التي يُستحسن التركيز عليها كونها محلّ حاجة لمجتمعنا اليوم في هذه المرحلة، سيّما وأنّ المنطقة تمرّ بمجموعة من التحدّيات

السياسيّة والدينيّـة والصراعات التي تتمظهر بأشكال مختلفة وتحـت تسميات متعـدّدة، بالإضافـة إلى بعضـ القيم التي تتناسـب مع أجـواء شهر رمضان؛ كلُّ ذلـك جعل من بعض الموضوعـات محلّ أولويّة في الطـرح والتي نأمل من الأخوة المبلّغيـن الأعزّاء أن يُولوها اهتماماً خاصّاً من خلال التعرّض لهذه الموضوعات، خلال الشهر المبارك.

ومـن هنا، فقد جاءت هذه الموضوعـات مقسّمةً على ستة أبواب وفق الآتي:

الباب الأوّل: بعض الموضوعات الأخلاقيّة والتربويّة التي تتناسب مع أيّام شهر رمضان المبارك ولياليه.

الباب الثانـي: الفتنة وبعض التفاصيـل المتعلّقة بأسبابها وظهورها ونتائجها، والصفات الخاصّة لأربابها، وما شابه.

الباب الثالث: موضوعات أخلاقيّة عامّة ترتبط بالإنفاق.

الباب الرابع: اكرام اليتيم وبركاته.

الباب الخامسـ: الجهاد والشهادة، وبعضـ الموضوعات المرتبطـة كفضـل الجهـاد والمجاهديـن وحقوقهـم ومقـام

الشهادة، وبعض الفروع المتعلقة بهذين الموضوعين.

البـاب السادس: المـوت وأحواله وضـرورة الاستعداد له والتزوّد للآخرة.

وختامـاً، فإن المركز الإسلاميّ للتبليـغ إذ يسأل الله تعالى أن يتقبّـل أعمـال الجميـع بأحسن القبـول، وأن يحظى هذا الإصـدار بموضع قبـول بقيّة الله الأعظـم «**أرواحنا له الفداء**» ورضا الإخوة المبلّغين وأئمّة المساجد وقبولهم كما نؤكّد على حرصنـا لقبول أيّ نقـدٍ أو ملاحظة، إن على مستوى الشكل، أو اختيـار الموضوع، أو طريقـة المعالجة، أو كلّ ما يساهم في تطوير هذا الإصدار، شاكرين للجميع تعاونهم وتجاوبهم.

المركز الإسلامي للتبليغ

الباب الأول

جهاد النفس والاستقامة

- جهاد النفس
- أساليب جهاد النفس وأسلحته
- الاستعانة بالله
- الاتعاظ بالعبر
- أهميّة النوافل
- بواعث العمل عند المسلم
- الإستقامة في الاسلام
- أوجه الاستقامة وتحدّياتها

المحاضرة الأولى

جهاد النفس

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[1].

(١) الشمس ٩.

الهدف:

بيان أنّ المعركة الحقيقيّة للإنسان هي مع نفسه التي بين جنبيه، والتعريف بخصائص هذه المعركة وسبل مواجهتها.

المقدّمة

أَقسَم الله تعالى في القرآن الكريم بأحد عشر قَسَماً ليؤكّد بعدها أنّ الفلاح مصير من زكّى نفسه، وأنّ الخيبة والخسران مصير من تركها فريسة الهوى والشهوات، وأنّ أكبر وأصعب امتحان كتبه الله تعالى على الإنسان في هذه الحياة هو ابتلاء الإنسان بنفسه، وعلى أساس نجاح الإنسان وتفوّقه في هذا الامتحان يكون موقعه عند الله، ومستقبله الدنيويّ والأخرويّ.. من هنا كانت المعركة مع النفس أشقّ وأخطر معركة يخوضها الإنسان في حياته.

محاور الموضوع

خصائص جهاد النفس

١- أنّها معركة حتميّة: ولم يتمّ التأكيد في القرآن الكريم على جديّة أمر والقَسَم عليه كما كان ذلك في معركة جهاد النفس في وجه إبليس وجنوده، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ

﴿٨٥﴾ [1]، فهذه المعركة هي الساحة الأساسيّة التي يجب الإنتصار فيها، وما انتصارات الإنسان خارج هذه الساحة إلّا صدًى ومرآة لانتصاراته في ساحة الجهاد الأكبر.

٢- أنّها معركة دائمة ومستمرّة: على طول عمر الإنسان، من بداية التكليف إلى ساعة الموت والرحيل، وعليه فهي معركة تستوجب الجهوزيّة الدائمة والإستعداد المتواصل لكلّ التفاصيل التي يحاول الشيطان إسقاط الإنسان فيها.

وعن الإمام عليّ عليه السلام في بيان استمراريّة هذه المعركة: «**كفاك في مجاهدة نفسك أن لا تزال أبداً لها مغالباً وعلى أهويتها محارباً**»[2].

وفي حديث المعراج في صفة أهل الخير وأهل الآخرة: «**يموت الناس مرّةً، ويموت أحدهم في كلّ يوم سبعين مرّة من مجاهدة أنفسهم ومخالفة هواهم والشيطان الذي يجري في عروقهم**»[3].

---

(١) ص ٨٢ ـ ٨٥.
(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥٤.

وعليه فالإمساك بلجام النفس ولجمها عن الجموح نحو الهوى ملازم لدوام جهادها، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**املكوا أنفسكم بدوام جهادها**»[1].

٣- أنّها معركة شاملة: أي أنّها تطال كافّة جوانب حياة الإنسان، ومختلف شؤونه، وتدخل في كافّة التفاصيل والجزئيّات فضلاً عن الأمور الكبيرة والخطيرة، وتمتدّ إلى فكره وثقافته ووعيه، ومشاعره وأحاسيسه وأفراحه، وما يحبّ ويكره، وما يفعل وما لا يفعل، وما يقوله وما يصمت عنه، وما يرغب فيه وما ينفر منه، ولعلّ هذا ما عناه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**أفضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى، وفطامها عن لذّات الدنيا**»[2].

فالهوى بأيّ شكلٍ من أشكاله التي لا تنتهي، ولذائذ الدنيا التي لا ينفكّ الشيطان يزيّنها لابن آدم بما يجمّلها في عينه، وشهوات الحياة التي تحيط بالإنسان على مدار الساعة والوقت، والأفكار الباطلة إن على مستوى العقيدة أو الأخلاق

(١) م.ن، ج١، ص ٤٥٤.
(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٣.

أو سواهمـا، التي لا تهدأ ماكينة إبليـس عن تصنيعها وإلقائها للإنسان؛ كلّ ذلك يجعل من هذا التحدّي هو التحدّي الأكبر وجهاده أفضل الجهاد.

ولمّا كانت معركـة الجهاد الأكبر معركة مفتوحة، كان توقّع الهزيمة في بعض محاورها أمراً حتميّاً إلّا من عَصَمَه الله وعَصَمَ نفسه، لذلك كان لا بـدّ من التوسل بالله تعالى أن يعينه على إكمال المواجهة وعدم اليأس منها أو الركون إلى أهوائها، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ المؤمن معنيٌّ بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها، فمرّة يقيم أودها ويخالف هواها في محبّة الله، ومرّة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش ويقيل الله عثرته فيتذكّر**»[1].

٤- أنّها معركة داخليّة: والخوف كلّ الخوف من كونها داخليّة أنّ الإنسـان قد لا يشعـر بعدوانيّة نفسه فـلا يتعامل معها كعدوّ، بل قد يشعر أحياناً بضرورة مسايرتها والتخفيف عنها ومـا شابه، فيسقط في حبائلها وشراكهـا، مع أنّها هي العدوّ

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥٣

وقد أوضح أمير المؤمنين عليه السلام ذلك بأنّ الإنسان يستنكر هذا الأمر بقوله: عليه السلام: «**أوّل ما تنكرون من الجهاد جهاد أنفسكم، آخر ما تفقدون مجاهدة أهوائكم وطاعة أُولي الأمر منكم**»[1].

وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه**»[2].

ويلحق بكونها داخليّة أنّ العدوّ يمكن أن تختبىء عنه وتستتر منه، فلا تراه ولا يراك، أمّا في جهادك الأكبر فإنّك كلّما نأيت بنفسك وحاولت الإختباء كان العدوّ أقرب إليك، وكانت ضرباته أكثر إحكاماً وإصابةً لأنّك -كما هو بديهيّ- لا تستطيع أن تفارق نفسك طرفة عين.

٥- **معركة مفتوحة على الجميع:** فهي مواجهة لا يُستثنى منها أحد على الإطلاق حتّى الأنبياء والأوصياء والأولياء، بل على العكس تماماً، فكلّما ازداد إيمان المرء وتقواه كلّما كانت المعركة عليه أشدّ وأقسى، وكلّما كانت التحدّيات

(١) م.ن، ج١، ص ٤٥٢.
(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص ٢٨٠.

والابتـلاءات أكبر، وفي الواقع فـإنّ هذه المعركة هي التي قـدّم لنا الأنبياء والأولياء أجمل الملاحم والبطولات فيها، فكانـوا أشجـع الناس وفقاً لقـول أميـر المؤمنين عليه السلام: «**أشجع الناس من غلب هواه**»[1].

وكما لا يُستثنى منها أحـد، فكذلك لا يُستثنى منها زمان أو مكان، فلا يأتي على البشريّة زمان ينجو أهله من هذا الجهاد وهـذه المواجهـة، كما لا يوجد مكان يمكـن للمرء أن يهرب إليـه ويأى بنفسه عن هذه المعركـة، وليس هناك من تلوذ به فيكفيك أمر هذه المواجهة إلّا أن تلوذ بالله تعالى وتستعين به، لأنّها واقعاً أكبر الجهاد كما عبّرت الرواية المشهورة عن الإمام الصـادق عليه السلام: «**إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث بسريّة فلمّا رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله: وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس**»[2].

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٤٨٣.
(٢) م.ن، ج١، ص ٤٥٢.

سبل جهاد النفس

الاجتهاد في طاعة الله: فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**أعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته، فإنّ الله لا يُدرَك شيء من الخير عنده إلّا بطاعته واجتناب محارمه**»(١).

وعنه عليه السلام: «**إعلموا أنّه ليس بين الله وبين أحد من خلقه مَلَـك مقرّب ولا نبيّ مُرسل ولا من دون ذلك من خلقه كلّهم إلّا طاعتهم له، فاجتهدوا في طاعة الله**»(٢).

عدم الظلم: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الجهاد من أصبح لا يهمّ بظلم أحد**»(٣).

ردّها عن الشهـوات والشبهات: عن عليّ عليه السلام: «**ردّ عن نفسك عند الشهوات، وأقمها على كتاب الله عند الشبهات**»(٤).

العلم والمعرفة: الإمـام عليّ عليه السلام: «**جهاد النفس بالعلم عنوان العقل**»(٥).

---

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥٨.
(٣) م.ن، ج١، ص ٤٥٢.
(٤) م.ن، ج١، ص ٤٥٢.
(٥) م.ن، ج١، ص ٤٥٢.

وعنه عليه السلام: «**ينبغي للعاقل أن لا يخلو في كلّ حال من طاعة ربّه ومجاهدة نفسه**»[1].

التقوى: ويقول الإمام عليّ عليه السلام: «**وإنّما هي نفسي أروّضها بالتقوى لتأتي آمنه يوم الخوف الأكبر**»[2].

عفّة البطن والفرج: عن الإمام الباقر عليه السلام لمّا قال له رجل: «**إنّي ضعيف العمل، قليل الصلاة، قليل الصوم، ولكن أرجو أن لا آكل إلّا حلالاً، ولا أنكح إلّا حلالاً**»، فقال عليه السلام: «**وأيّ جهاد أفضل من عفة بطن وفرج**»[3].

الكفّ عن المعاصي: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اجتهدوا في العمل، فإن قَصّر بكم الضعف فكفّوا عن المعاصي**»[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه**»[5].

---

(١) م.ن، ج١، ص ٤٥٣.
(٢) نهج البلاغة، ج٣، ص ٧٢.
(٣) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٩.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥٨.
(٥) الكافي، ج٢، ص ٧٦.

المحاضرة الثانية

أساليب جهاد النفس وأسلحته

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1].

(١) النازعات ٤٠-٤١.

الهدف:

بيان بعض أساليب جهاد النفس وأهمّ أسلحة هذه المواجهة والآثار والبركات المترتّبة عليها.

المقدّمة

إنّ الجهاد الأكبر تماماً كالجهاد الأصغر له ثغوره التي ينبغي المرابطة عليها والحضور فيها بشكلٍ دائم، كما له تكتيكاته الخاصّة وأساليبه المختلفة التي تتنوّع بحسب الزمان والمكان والشخص والظروف المحيطة وغير ذلك، وكذلك له مواقعه المهمّة والاستراتيجيّة التي بفقدانها تشكل خطراً حقيقيّاً على كثير من الفرائض والواجبات ومكارم الأخلاق، وله تلاله المنخفضة التي لا ينبغي التهاون في المحافظة عليها، كما لهذه المواجهة أسلحتها الخاصّة وذخائرها المناسبة لها، وقبل ذلك كلّه فهي المعركة الواجبة التي تجب المواجهة فيها ويجب الإنتصار في نهايتها، كما قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**جاهد نفسك لتردّها عن هواها، فإنّه واجب عليك كجهاد عدوك**»[1].

محاور الموضوع

كيفيّة مجاهدة النفس

تبيّن النصوص بعض أساليب جهاد النفس وتزكيتها من

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٢.

خلال النقاط الآتية:

١- الثبات وعـدم الانقياد لها: يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**إذا صعبت عليك نفسك فأصعب لها تَذِلّ لك، وخادع نفسك عن نفسك تنقد لك**»[١].

فعلى الإنسان أن لا ينهزم بسرعة أمام صعوبة المعركة كما لو صعبت عليها بعض المستحبّات أو الفرائض فعلى الإنسان أن يقوم بهذه المستحبّات حتّى يرضخ نفسه، لا أن يستجيب لميولهـا، وبصموده تنهزم أهـواء النفس وتنهـار ذليلة خانعة، وبوعيه يفوّت الفرصة على الإغراءات ويخدعها.

٢- الإدبار عنها: يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**أقبِلْ على نفسك بالإدبار عنها**»[٢]. وذلك أنّ الإقبال على النفس بالاستجابة لرغباتهـا مهلك للإنسان ونفسه، بينمـا التعامل مع النفس بالتنكّر لأهوائها هو لمصلحة النفس..

٣- الحمية عن لـذّات الدنيا: عن عليّ عليه السلام: «**دواء النفس**

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٣٣.

الصوم عـن الهوى والحمية عن لـذّات الدنيا»[1]. وبكلمةٍ أوضـح، فكلَّما خفّف المرء من مؤونـة جسده، كلّما سهل عليه تزكية نفسه، ولذلك يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**خدمة الجسد إعطاؤه ما يطلبه من الملاذّ والشهوات والمقتنيات، وفي ذلك هلاك النفس**»[2].

٤- قمعهـا ومنعها عـن رغباتها: ففي وصيّـة قدمها إلى شريح بن هاني يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**اتّق الله في كلّ صباحٍ ومساء، وخَـفْ على نفسك الدنيا الغَـرور، ولا تأمنها على حـال، واعلم أنّك إن لم تـردع نفسك عن كثير ممّا تحبّ، مخافة مكروه، سمت بك الأهواء إلى كثير من الضرر، فكن لنفسك مانعاً رادعاً، ولنزوتك عند الحفيظة واقماً قامعاً**»[3].

٥- إكراههـا على فعل الخير: ذلك أنّ النفس قد تضعف عن فعـل الخيرات، والحـال أنّ تعويدها هـذه المنقبة من أهمّ الأمـور التي تزيد فـي تزكيتها، يقول الإمـام عليّ عليه السلام:

(١) م.ن، ج٤، ص ٣٣٢٤.
(٢) م.ن، ج٤، ص ٣٣٢٥.
(٣) نهج البلاغة، ج٣، ص ١١٢.

«**أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه، لأنّ مخالفتها أهمّ من ذات العمل، لأنّها تكسب المرء ملكة تحدّي النفس وإرغامها على صالح الأعمال**»[1]، ويؤكّد الإمام عليّ عليه السلام الدور الحاسم لذات الإنسان في مقاومة نفسه فيقول عليه السلام: «**واعلموا أنّه من لم يُعِنْ على نفسه حتّى يكون له منها واعظ وزاجر، لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ**»[2].

٦- معاملتها على أنّها عدوّ: إذ قد يغيب عن ذهن الإنسان أنّها عدوّ، بل أنّها أعظم الأعداء، فيحاول أن يسوِّغ لها بدل أن يحاسبها ويسائلها بل ويعاقبها على أيّ سوءٍ أقدمت عليه، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**اجعل نفسك عدوّاً تجاهده وعارية تردّها، فإنّك قد جعلت طبيب نفسك وعرفت آية الصحة وبُيِّنَ لك الداء ودُلِلْتَ على الدواء، فانظر قيامك على نفسك**»[3].

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص ٥٥.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٦٠.
(٣) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥٤.

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**جاهد نفسك على طاعة الله مجاهدة العدوّ عدوّه، وغالبها مغالبة الضدّ ضدّه، فإنّ أقوى الناس من قوي على نفسه**»[1].

٧- **المحاسبة:** أي أن يقف المرء على أفعاله ليقيمّها ويَزِنَها بميزان العدل والشرع ولا يتهاون في حسابها قبل يوم الحساب، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**جاهد نفسَك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه**»[2].

وفي الحديث: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا**».

آثار جهاد النفس وبركاتُه

١- **الفوز بالجنّة:** يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾. والخوف من الله يعني إظهار تمام العبوديّة له، ونهي النفس عن الهوى يعني عدم سلوك أيّ سبيل لا يقع في طاعة الله ورضاه.

٢- **أجر الشهداء:** لأنّ فرعون النفس ونمرودها أشدّ من فراعنة

(١) م.ن، ج١، ص ٤٥٤.
(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٤.

الزمـان، فمن استطاع أن يتغلّب علـى فرعون نفسه هان عليه فرعون زمانه، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّ المجاهد نفسه على طاعة الله وعن معاصيه عند الله سبحانه بمنزلة برّ شهيد**»[1].

٣- كمـال التقـوى: أي الوصـول إلى أعلـى مراتب التقوى والإيمان، عن عليّ عليه السلام: «**من جاهد نفسه أكمل التقى**»[2].

٤- الشعور بحـلاوة الإيمان: وهذا الشعـور من أهم ما يوجد الحافزيّـة عنـد الإنسـان في الاستمـرار بهـذا الطريق، إذ يجد جمال ما يصنع ويتـذوّق حلاوة ما يقوم به، فعن عليّ عليه السلام: «**صابروا أنفسكم على فعل الطاعات، وصونوها عن دنس السيّئات، تجدوا حلاوة الإيمان**»[3].

٥- الحكمة: فالإنسان الذي يطرد إبليس من نفسه من الطبيعيّ أن تخترق قلبه أنوار الهداية والحكمة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**جاهدوا أنفسكم على شهواتكم تحلّ قلوبكم الحكمة**»[4].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥٢.
(٢) م.ن، ج١، ص ٤٥٥.
(٣) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٨.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥٥.

٦- فرار الشيطان وحلـول الملائكة: والتعبير بالفرار والحلول يوضـح أنّ الإنسـان إنّما يخوض معركةً حقيقيـة بجهاده نفسه، فعن رسـول الله ﷺ: «**جاهدوا أنفسكم بقلّة الطعام والشراب، تظلّكم الملائكة ويفرّ عنكم الشيطان**»[١].

٧- الأمن يوم القيامة: وأيّ فوز بعد هذا الأمان يوم تذهل كلّ مرضعـةٍ عمّا أرضعت؟ يقول الإمام عليّ عليه السلام: «**وإنّما هي نفسي أروّضها بالتقوى لتأتي آمنه يوم الخوف الأكبر**»[٢].

٨- علوّ الدرجات ومضاعفة الحسنات: فجهاد النفس لا يعني مجرّد الفلاح يوم القيامـة، بل يستلزم رفيع الدرجات وعلوّ المقامـات جزاءً لهذا الإنتصار الكبير الذي سطّره الإنسان علـى نفسه، فعن علـيّ عليه السلام: «**ردع النفس وجهادها عن أهويتها يرفع الدرجات ويضاعف الحسنات**»[٣].

٩- التغلّـب على العادات السيّئة: ومـا أكثرها في مجتمعاتنا اليـوم! حتّى عند بعض أهل الإيمان، فعن رسول الله ﷺ:

---

(١) م.ن، ج١، ص ٤٥٥.
(٢) نهج البلاغة، ج٣، ص ٧١.
(٣) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٤.

«**بالمجاهدة يغلب سوء العادة**»[١].

وعنه عليه السلام: «**جاهد شهوتك وغالب غضبك وخالف سوء عادتك، تزكّ نفسَك ويكمل عقلك وتستكمل ثواب ربّك**»[٢].

١٠- إدراك الأهداف السامية: فمعالي الأمور وعظائمها لا تُدركها النفوس الضعيفة التي ليس لا حظّ من التزكية والترويض، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**ذروة الغايات لا ينالها إلّا ذوو التهذيب والمجاهدات**»[٣].

١١ - التحرّر: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من ترك الشهوات كان حرّاً**»[٤].

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٥٥.
(٣) م.ن، ج١، ص ٤٥٥.
(٤) موسوعة أحاديث أهل البيت، ج١، ص٣٣١.

المحاضرة الثالثة

الاستعانة باللّه

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[1].

(١) الفاتحة ٥.

الهدف:

توضيح مفهوم الاستعانة بالله وبيان موارد الاستعانة والفهم الخاطىء لهذا المفهوم.

المقدَّمة

مـن خلال الآيـة المتقدّمة نـرى أنّ الله كما أمرنـا بعبادته وحـده لا شريك له، فقد أمرنا كذلك بالاستعانة به دون سواه، وأراد منّـا الرجـوع إليه في كافّة ما يعترضـ حياة الإنسان من حـوادث وتحدّيات، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أنّ العلاقة بالله ليست علاقة طقسيّة تقتصر على بعض العبادات والفرائضـ، بل هي علاقة مستمرّة وفاعلـة، وعلى الإنسان أن يفعّلها ويقويها ويلجأ إليها في ساعات الشدّة والرخاء، بل لعل كمال العبادة فـي الاستعانة به دون سواه، وأنّ عدم الاستعانة بالله نقصٌ في العبادة، بل نقصٌ في فهمنا للمعبود كذلك.

محاور الموضوع

مفهوم الاستعانة باللّه

يمكن أن تتحقّق الاستعانة بالله أو بغير الله بصورتين:

١ - أن نستعيـن بعامل - سـواء أكان طبيعيّاً أم غير طبيعي - مـع الاعتقاد بأنّ عمله مستند إلى الله، بمعنى أنّه قادر على

أن يعيـن العباد ويزيل مشاكلهـم بقدرته المكتسبة من الله وإذنه.

وهـذا النوع مـن الاستعانة - في الحقيقـة - لا ينفكّ عن الاستعانة بالله ذاته، لأنّـه ينطوي على الاعتراف بأنّه هو الذي منح تلـك العوامل، ذلـك الأثـر، وأذن لها، وإن شـاء سلبها وجردها منه.

فإذا استعان الزارع بعوامل طبيعيّة كالشمس والماء وحرث الأرض، فقد استعان بالله - في الحقيقة - لأنّه تعالى هو الذي منـح هذه العوامل: القدرة على إنماء ما أودع في بطن الأرض من بذر ومن ثَمَّ إنباته والوصول به إلى حدّ الكمال.

٢ - أن يستعيـن بإنسـان حـيّ أو ميـت أو عامـل طبيعي مع الاعتقـاد بأنّه مستقلّ في وجوده، أو فـي فعله عن الله، فلا شكّ أنّ ذلك الاعتقاد شرك والاستعانة به عبادة.

فإذا استعان زارع بالعوامل المذكورة وهو يعتقد بأنّها مستقلّة فـي تأثيرهـا أو أنّها مستقلّة في وجودهـا ومادّتها كما في فعلها وقدرتها، فالاعتقاد شرك والطلب عبادة للمستعان به.

ولإيقاف القارئ على هذه الحقيقة نلفت نظره إلى آيات تحصر جملة من الأفعال الكونيّة في الله تارة، مع أنّها تنسب نفس الأفعال في آيات أخرى إلى غير الله أيضاً، وما هذا إلّا لعدم التنافي بين النسبتين لاختلاف نوعيّتهما، فهي محصورة في الله سبحانه مع قيد الاستقلال، وتنسب إلى غير الله مع قيد التبعيّة والعرضيّة. الآيات التي تنسب الظواهر الكونيّة إلى الله وإلى غيره:

١ - يقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾[١]. بينما يقول سبحانه في العسل: ﴿ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[٢].

٢ - يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ﴾[٣] بينما يقول تعالى: ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾[٤].

٣ - يقول سبحانه: ﴿ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[٥] بينما يقول سبحانه: ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[٦].

---

(١) الشعراء / ٨٠.
(٢) النحل / ٦٩.
(٣) الذاريات / ٥٨.
(٤) النساء / ٥.
(٥) الواقعة / ٦٤.
(٦) الفتح / ٢٩.

٤ - **يقول تعالى:** ﴿ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ ﴾[١] بينما يقول سبحانه: ﴿ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾[٢].

٥ - **يقول تعالى:** ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ ﴾[٣] بينما يقول سبحانه: ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ ﴾[٤].

٦ - **يقول سبحانه:** ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا ﴾[٥]. بينما يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾[٦].

إلى غير ذلك من الآيات التي تنسب الظواهر الكونيّة تارة إلى الله تعالى، وأخرى إلى غيره[٧].

مفردات الاستعانة بالله

الصبر والصلاة: قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ﴾[٨]. فإنّ الاستعانة بالله ليس لها مصداق إلّا الصبر والاشتغال بمناجاة الله وعبادته ثانياً.

---

(١) النساء / ٨١.
(٢) الزخرف / ٨٠.
(٣) يونس / ٣.
(٤) النازعات / ٥.
(٥) الزمر / ٤٢.
(٦) النحل / ٣٢.
(٧) الأسماء الثلاثة - الشيخ جعفر السبحاني - ص ٨٦ - ٨٨.
(٨) البقرة ٤٥.

وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾[1].

هذه الآية تشير إلى مبادئ وشروط ثلاثة: أحدها في العقيدة وهو (الاستعانة بالله)، والثاني: في الأخلاق وهو (الصبر والثبات) والأخير: في العمل، وهو (التقوى)، وهي ليست شرائط انتصار قوم بني إسرائيل وحدهم على العدوّ، بل كلّ شعب أراد الغلبة على أعدائه لا بدّ له من تحقيق هذه البرامج الثلاثة، فالأشخاص غير المؤمنين والجبناء وضعفاء الإرادة، والشعوب الفاسقة الغارقة في الفساد، إذا ما انتصرت فإنّ انتصارها يكون لا محالة مؤقّتاً غير باق[2].

كما أنّ فرعون لا يملك الأرض حتّى يمنحها من يشاء، ويمنع من التمتّع بها من يشاء، بل هي لله يورثها من يشاء، وقد جرت السنّة الإلهيّة أن يخصّ بحسن العاقبة من يتّقيه من

(١) الأعراف: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي - ج ٥ - ص ١٦٧.

عباده، فإن استعنتم بالله وصبرتم في ذات الله على ما يهدّدكم من الشدائد - وهو التقوى - أورثكم الأرض التي ترونها في أيدي آل فرعون[1].

مكارم الأخلاق: فعن عليّ عليه السلام في بيان ما يجب على الأمّة أن تستعين بالله به نصرةً لإمامها: «**أعينوني بورعٍ واجتهاد وعفّةٍ وسداد**»[2].

الدعاء: قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

القرآن: فإن آيات الله وكلماته خير ما يستعين به المرء في حياته وقد تضافرت الروايات التي حثّتنا على الاستعانة بكتاب الله.

التوسّل بالأنبياء والأئمّة عليهم السلام: وذلك لرفعة مقامهم عند الله تعالى، وأنّه أوجب علينا التوسّل بهم لاستنزال إعانة السماء، فهم باب الله الذي منه يُؤتى، والتوسّل بهم ليس كما يتوهّم البعض من اعتبارهم سلطة مستقلّة وتأثير مستغنٍ عن

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ٨ - ص ٢٢٤.
(٢) نهج البلاغة، ج٣، ص ٧٠.
(٣) غافر ٦٠.

الله، بل بما أعطاهم الله من السلطة ومنّ عليهم من التأثير.

الصمت: قال تعالى عن لسان مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[1]. فقد أعان الله مريم لينجّيها من القوم الذين أرادوا بها سوءاً وذلك من خلال الصمت وعدم الدخول معهم في الجدل والقيل والقال.

بركات الاستعانة بالله

عن عليّ عليه السلام: «**وأكثر الاستعانة بالله يكفك ما أهمك ويُعنِك على ما نزل بك إن شاء الله**»[2].

ولأنّ من استعان بغيره، فقد استسمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم، أفلا يستعان به وهو الغني الكبير؟! أم كيف يطلب من غيره والكل إليه فقير؟! وإنّي لأرى أنّ طلب المحتاج من المحتاج سفه من رأيه وضلّة من عقله، فكم قد رأينا من أناس طلبوا العزّة من غيره فذلّوا، وراموا الثروة من سواه فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتضعوا، فلا يستعان إلّا به تعالى وتقدّس، ولا عون إلّا منه تبارك وتعالى.

---

(١) مريم ٢٦.

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي عليه السلام - ج ٣ - ص ٥٩

ولقد كان رسول الله ﷺ يدعو الله: «**آمنن علينا بالنشاط، وأعذنا من الفشل والكسل والعجز والعلل والضرر والضجر والملل**»[١].

وعنه ﷺ: «**اللهمَّ إنّي أعوذ بك من الهمّ والحزن والعجز والكسل**»[٢].

وأوضح من هذا ما ورد من آيات في (التوكّل) باعتباره يمثل شعبة من شعب الاستعانة بالله عزَّ وجلَّ، قال تعالى:

﴿ ... وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[٣].

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾[٤].

﴿ .. وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[٥].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٧٠٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٢٠٠.
(٣) هود: ٨٨.
(٤) التوبة: ١٢٩.
(٥) آل عمران: ١٦٠.

﴿ ...وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ ... ﴾[2].

(١) المجادلة: ١٠.

(٢) هود: ١٢٣.

المحاضرة الرابعة

الاتعاظ بالعبر

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ ﴾[1].

(١) الحشر ٢.

الهدف:

تقوية حسّ الاعتبار في النفس وأن يكون الإنسان معلّم نفسه في الحياة.

المقدّمة

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**مسكين ابن آدم! له في كل يوم ثلاث مصائب لا يعتبر بواحدة منهنّ، ولو اعتبر لهانت عليه المصائب وأمر الدنيا: فأمّا المصيبة الأولى: فاليوم الذي ينقص من عمره، قال: وإن ناله نقصان في ماله اغتمّ به، والدرهم يخلف عنه والعمر لا يردّه. والثانية: أنّه يستوفي رزقه، فإن كان حلالاً حوسب عليه، وإن كان حراماً عوقب عليه. قال: والثالثة أعظم من ذلك، قيل: وما هي؟ قال: ما من يوم يمسي إلّا وقد دنا من الآخرة رحله، لا يدري على الجنّة أم على النار**»[1].

محاور الموضوع

الحثّ على الاعتبار

يحثّ الإسلام بقوّة على مبدأ الاعتبار معتبراً ذلك من دلائل الوعي والبصيرة عند المرء، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع، واعتبروا بالآي السواطع،**

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص ٣٤٢.

وازدجروا بالنذر البوالغ»[1].

فالعبر واضحة وضوح الشمس، فالماضي والحاضر وأحوال الماضين والحاليّين تصرخ في عقول الناس بعدم الغفلة عن الاعتبار، فعن عليّ عليه السلام: «**لقد جاهرتكم العبر، وزجرتم بما فيه مزدجر، وما يبلّغ عن الله بعد رسل السماء إلّا البشر**»[2].

وعنه عليه السلام: «**أوصيكم بتقوى الله... وداووا بها الأسقام، وبادروا بها الحمام، واعتبروا بمن أضاعها، ولا يعتبرنّ بكم من أطاعها**»[3].

فالمؤمن ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار، ويعتبر بتصاريف الأيّام ويرى في الاعتبار الناصح الصادق فيكون غيره عبرةً له قبل أن يخسر فيكون عبرةً لغيره، وقد وصفه عليّ عليه السلام بذلك إذ قال: «**الاعتبار منذر ناصح، من تفكّر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سلم**»[4].

---

(١) نهج البلاغة، ج١، ص ١٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٥٨.
(٣) م.ن، ج٢، ص ١٥٨.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨٨.

ما ينبغي الاعتبار به

١- العذاب الإلهيّ: قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ۝٢٦﴾[١]، والعذاب الإلهيّ يجري وفق سنن أودعها الله في الوجود، والمؤمن المعتبر إذا وعاها وفهمها درأ العذاب عن نفسه.

٢- قصص الماضين: قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝١١١﴾[٢].

ويعظ أمير المؤمنين عليه السلام بقصص الماضين فيقول: «**وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة، أين العمالقة وأبناء العمالقة؟! أين الفراعنة وأبناء الفراعنة؟! أين أصحاب مدائن الرسّ الذين قتلوا النبيّين، وأطفؤوا سنن المرسلين، وأحيوا سنن الجبّارين**»[٣].

وعنه عليه السلام: «**واعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم، قد تزايلت أوصالهم، وزالت أبصارهم وأسماعهم،**

---

(١) النازعات ٢٥ ـ ٢٦.
(٢) يوسف ١١١.
(٣) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨٠٩.

وذهب شرفهم وعزّهم، وانقطع سرورهم ونعيمهم»[١].

وقال عليه السلام: «فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم، من بأس الله وصولاته ووقائعه ومثلاته»[٢].

٣- آيات الخلق: قال تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٤﴾[٣].

فهذا التعاقب لليل الذي جعله الله للناس سكناً وللنهار الذي جعله الله معاشاً عبرةٌ لأهل البصائر، وقد قال عليّ عليه السلام: «في تعاقب الأيّام معتبر للأنام»[٤].

٤- القبور: هذه الشواهد الصامتة الجامدة التي تعظ بما لا يعظه الأحياء فعن عليّ عليه السلام لمّا تلا: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢﴾: «أفبمصارع آبائهم يفخرون؟... ولأنّ يكونوا عبراً أحقّ من أن يكونوا مفتخراً... ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم، لقد رجعت فيهم أبصار العبر، وسمعت عنهم آذان العقول، وتكلّموا من غير جهات النطق»[٥].

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨١٠.
(٢) م.ن، ج٣، ص ١٨١٠.
(٣) النور ٤٤.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨١٠.
(٥) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨٠٩.

وعنه عليه السلام: «**فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم، وانقطاعكم عن أوصل إخوانكم**»[1].

٥- الموتى: عن عليّ عليه السلام قبل شهادته على سبيل الوصيّة: «**أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم. فما عبرة أبلغ من عبرة الموت، بل كفى بالموت عبرةً تغنيك عن العبر والمواعظ**»[2].

٦- تشابه أحوال الدنيا: فالدنيا حالها مع الماضين كحالها مع المقيمين الحاضرين كحالها مع من سيأتي إليها مستقبلاً، تجري سُننها على الجميع مجرًى واحداً فعن عليّ عليه السلام: «**كفى مخبراً عمّا بقي من الدنيا ما مضى منها**»[3].

وعنه عليه السلام: «**إنّ الأمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأوّلها**»[4].

عنه عليه السلام - من كتابه إلى الحارث الهمدانيّ -: «**وصدّق بما سلف من الحقّ، واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها، فإنّ بعضها يشبه بعضاً، وآخرها لاحق بأوّلها، وكلّها حائل مفارق**»[5].

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨١٠.
(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص ٢٤.
(٣) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨١٠.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨٠٩.
(٥) م.ن، ج٣، ص ١٨١٠.

٧- أحـداث الزمان: عن عليّ عليه السلام: «**ثـمّ إنّ الدنيا دار فناء وعناء، وغِيَر وعبر... ومن غِيَرِها أنّك ترى المرحوم مغبوطاً، والمغبوط مرحوماً، ليس ذلك إلّا نعيماً زال وبؤساً نزل، ومن عبرها أنّ المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله**»[١].

ومـا أبلغ تعبيره عن غفلة المـرء بأمله عن أجله فإذا بحضور الأجـل يبدد آمال الحالمين ويقطعها، إلّا أنّ العبرة تبقى نافعة لأولي العقول والعقول كما قال عليه السلام: «**في تصاريف القضاء عبرة لأولي الألباب والنهى**»[٢].

٨- اعتبار المرء بعمره: عن عليّ عليه السلام - من كتابه إلى معاوية: «**لو اعتبرت بما أضعت من ماضي عمرك لحفظت ما بقي**»[٣].

فالمـرء لو نظر فـي سيرة نفسه وتحدّيـات أيامه ووقف منها موقف المعتبر المتأمل لـكان ذلك نافعاً له في سلامة ما بقي من عمره.

٩- البلايـا والنذر: فقد يغفل المرء عـن بعض التفاصيل في

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨٠٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨١٠.
(٣) م.ن، ج٣، ص ١٨١٠.

حياتـه فـلا يعتبر بها، أمّـا وأن يغفل عـن الأمراض والفقر والـزلازل والعقوبات الإلهيّة وتفشي الفساد وتسلّط الطغاة فهذا من أعظم العمـى، وهذا عليّ عليه السلام يقول: «**واعتبروا بالغِيَر، وانتفعوا بالنُّذُر**»[1].

١٠- الإعتبار بإبليس: وفي قصّة إبليس عبرة من أضاع عبادته لله بلحظـة عصبيّـة، وأعمتـه الأنـا عن الله، وهـي عبرةٌ قد تصيب - وهي تصيب - الكثيرين، ويشير إليها عليّ عليه السلام بقولـه: «**فاعتبروا بمـا كان من فعل الله بإبليـس، إذ أحبط عمله الطويل، وجهده الجهيد**»[2].

وفي الختـام لا يسعنا إلّا أن نذكر مقالة الإمام عليّ عليه السلام التي يبيّن فيها أنّ المشكلة ليست في قلّة العبر، فالعبر كثيرة، وإنّما كلّ المشكلة في قلّة المعتبرين، فيقول عليه السلام: «**ما أكثر العِبَر، وأقلّ الاعتبار**»[3].

(١) م.ن، ج٣، ص ١٨١٠.
(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص١٢٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٧٢.

المحاضرة الخامسة

الاتعاظ بالعبر

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾[1].

(١) ال عمران ١٣.

الهدف:

بيان السبيل الصحيح للاعتبار والفوائد الكثيرة التي ينالها المعتبر في حياته.

المقدّمة

إنّ المتأمّـل في أحداث زمانه وما يحيـط به من سُنن يرى بعيـن البصيرة ما تزخر به صروف الحياة من دروسٍ وعِبَر، وهو بذلك يزيد إلى عمره أعمار الآخرين وإلى ثقافته ثقافتهم وإلى تجاربـه تجاربهم، فيكون كمن عاش برصيدٍ من الوعي والغنى والقناعة يمكّنه من مواجهة التحديات مهما قست والإبتلاءات مهمـا اشتدّت وقست، وإلى هذا أشـار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «**مـن تبيّنت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنّما كان في الأوّلين**»[1].

محاور الموضوع

سبل الاعتبار

١- التأمّـل: فلا يكون مغمض العينين فيما يجري حوله كمن يسير فـي جنازةٍ ولا يستحضر أهوال الموت أو يستمع إلى موعظةٍ فلا يجريها على نفسـه فيحاسبها على أعمالها، فقد

(١) نهج البلاغة، ج٤، ص٨.

قال عليّ عليه السلام: «**من تأمّل اعتبر، من اعتبر حذر**»[1].

٢- التفكّر: أي إعمال العقل في صروف الحياة وربط الأسباب بمسبَّباتها والنتائج بمقدِّماتها بطريقة علميّة دينيّة، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**رحم الله امرءاً تفكّر فاعتبر، واعتبر فأبصر**»[2].

وعنه عليه السلام: «**أفضل العقل الاعتبار، وأفضل الحزم الاستظهار، وأكبر الحمق الاغترار**»[3].

وعلى العكس من ذلك فمن لم يُعمل عقله ورضي بجهله حُرم بركات الاعتبار، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من جهل قلّ اعتباره**»[4].

٣- الاستبصار: أي التبصّر لعواقب الأمور وتبعاتها ومختلف الآثار والنتائج المترتّبة عليها، فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**بالاستبصار يحصل الاعتبار**»[5].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨١١.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨١١.
(٣) م.ن، ج٣، ص ١٨٠٨.
(٤) م.ن، ج٣، ص ١٨٠٨.
(٥) م.ن، ج٣، ص ١٨٠٨.

٤- الخوف من الله: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾[١]، فالخوف من الله يُصوّب طبيعة العلاقة بين العبد وربّه، وبالتالي فإنّ هذه العلاقة تصحّح مسار الإنسان وتجعله دائماً على النهج القويم.

٥- العلم: فالعلم سبيل أهل النهى للاعتبار، لأنّ العلم ما لم يقترن بالتعقّل والتدبّر يصبح حجاباً على قلب صاحبه، فعن عليّ عليه السلام: «**كفى معتبراً لأولي النهى ما عرفوا**»[٢].

٦- الإسلام: عن عليّ عليه السلام في صفة الإسلام: «**فجعله... آية لمن توسّم، وتبصرة لمن عزم، وعبرة لمن اتعظ**»[٣].

الاعتبار بالقرآن الكريم

عن الإمام عليّ عليه السلام إنّه مرّ على المدائن فلما رأى آثار كسرى وقرب خرابها، قال رجل ممّن معه:

جرَتِ الرياح على رسوم ديارهم
فكأنّهم كانوا على ميعادِ

(١) النازعات ٢٦.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨١٠.
(٣) نهج البلاغة، ج١، ص ٢٠٣.

فقال عليه السلام أفلا قلت: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

عن الإمام علي عليه السلام: «**لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل... يصف العبرة ولا يعتبر، ويبالغ في الموعظة ولا يتّعظ**»[2].

ثمرة الاعتبار

١- عدم الوقوع في المعصية: ويُشبّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعتبر بتشبيه غاية في الروعة إذ يقول: «**المعتبر في الدنيا عيشه فيها كعيش النائم يراها ولا يمسها، وهو يزيل عن قلبه ونفسه - باستقباحه معاملة المغرورين بها - ما يورثه الحساب والعقاب**»[3]. فيبتعد باعتباره عن كلّ ما يُصعّب وقوفه بين يدي الله حتّى تحسبه لا يعصي كما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**الاعتبار يثمر العصمة**»[4]. وعنه عليه السلام: «**اعتبر تزدجر**»[5].

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨١٠.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨٠٨.
(٣) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨١١.
(٤) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨١١.
(٥) م.ن، ج٣، ص ١٨١١.

بـل كأنّما الـذي لا يزدجر لم يعتبر أصلاً، فعـن الإمام عليّ عليه السلام: «**لا فكر لمن لا اعتبار له، لا اعتبار لمن لا ازدجار له**»[1].

٢- قلّـة الخطأ: فيعتبر من أخطـاء الآخرين وزلاتهم ما يحجزه عن تقحّم الأخطاء كما يقول عليّ عليه السلام: «**من كثر اعتباره قلّ عثاره**»[2].

٣- العلـم اليقيـن: لأنّ المعتبـر يـرى حقائق الأمـور ونتائج المواقف المختلفة التي تصدر عن أنواع البشر فتورثه علماً ومعرفةً، فعن عليّ عليه السلام: «**من اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم**»[3].

٤- الوعي والبصيرة: وهما من أغنى ما يعطيه الاعتبار للإنسان، وأيّ فائـدةٍ أرقى من أن يمتلك المرء بصيـرةً ووعياً يواجه بهمـا تحدّيات الأيّـام؟ فعن علـيّ عليه السلام: «**دوام الاعتبار يـؤدّي إلى الاستبصار، ويثمـر الازدجار**»[4]. وعنه عليه السلام: «**في كلّ اعتبار استبصار**»[5].

---

(١) م.ن، ج٣، ص ١٨١٢.
(٢) م.ن، ج٣، ص ١٨١١.
(٣) نهج البلاغة، ج٤، ص ٤٧.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨١١.
(٥) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٨١١.

٥- استبانة الرأي السليم: فالمعتبر بحوادث الأيّام يقف على الموقف السليم الذي ينبغي له اتباعه فقد ورد عن عليّ عليه السلام: «**من اعتبر بعقله استبان**»[١]. وعنه عليه السلام: «**من اعتبر الأمور وقف على مصادقها**»[٢]. وبنفس المعنى ما ورد عنه عليه السلام: «**الاعتبار يقود إلى الرشاد**»[٣].

٦- القناعة: لأنّ الاعتبار يُظهر العواقب الوخيمة التي يقدم عليها من لا يعتبر في الحياة، ولذا يقول عليّ عليه السلام: «**اعتبر تقتنع**»[٤].

٧- الحذر والتنبُّه: فلا ينجرف المعتبر مع الرأي السائد وما يفعله الآخرون ولا يخوض مع الخائضين، بل يبقى يقظاً لما يدور حوله، كما عبّر أمير المؤمنين عليه السلام: «**من اعتبر بالغير لم يثق بمسالمة الزمن**»[٥].

٨- عدم الطمع: فيرى المعتبر هلاك من لم يعتبر وقاده طمعه

---

(١) م.ن، ج٣، ص ١٨١١.
(٢) م.ن، ج٣، ص ١٨١٢.
(٣) م.ن، ج٣، ص ١٨٠٩.
(٤) م.ن، ج٣، ص ١٨١١.
(٥) م.ن، ج٣، ص ١٨١٢.

إلى الخسران، فعن عليّ عليه السلام: «**من اعتبر بغِيَر الدنيا قلت منه الأطماع**»[1].

٩- التقوى: وهي خلاصة الاعتبار، فما أروع قول عليّ عليه السلام: «**ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم: إنّ من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحّم الشبهات**»[2].

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨١٢.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ١٥٤.

المحاضرة السادسة

أهميّة النوافل

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[1].

(١) الإسراء ٧٩.

الهدف:

الحثّ على المواظبة على النوافل والإكثار منها وبيان أسرارها وبركاتها وآثارها الروحيّة.

المقدّمة

إنّ من الأخطار الجسيمة على مستوى تربية النفس وتزكيتها أن لا يعي الإنسان أهميّة النوافل والمستحبّات في حياته فيتغافل عنها بحجة أنّها غير واجبة وأنّ الاقتصار على الواجبات أهمّ من النوافل، وأنّ الأمور المستحبّة تحتاج لوقت وفراغ وأنّ هناك أموراً أهمّ من الانشغال بالنوافل، وهذا منطقٌ درج عليه بعض أهل الإيمان متناسين البركات العظيمة والآثار التي لا تعدّ ولا تحصى للنوافل التي فتحها الله بكثرةٍ على الإنسان، وفتح له من خلالها أسباب قوّة الإيمان ومنعته وانعكاسات التجلّيات الإلهيّة الحقّة في قلبه، وصولاً إلى إدراك الحقائق والمعاني السامية من خلال هذه النوافل.

محاور الموضوع

تقديم الفرائض على النوافل

من الواضح ضرورة تقديم الفرائض على النوافل في معراج الكمال والسير نحو الله تعالى، بل في الرواية رفض النوافل

إذا أضـرّت بالفرائض كما روي عـن عليّ عليه السلام: «**إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها**»[1].

وعلى المـرء أن يترصّد قلبه دائماً ولا يضيّـع فرصة إقباله، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فتنفّلوا، وإذا أدبرت فعليكم بالفريضة**»[2].

والنوافل دليل صدق العبودية لله تعالى، فلعلّ دافع الخوف مـن العذاب والفوز بالجنّة يدفعان المرء للقيام بفرائضه، لكن أيّ دافـع يدفع المرء للقيـام بالمستحبّـات والنوافل الكثيرة سوى نيّة القرب وجمال المعبود؟ وأيّ حافزٍ يجعل المرء يترك فراشه ونومه وراحته ليقضي قسطاً من وقته مع خير الجالسين وأشدّهم أنساً سوى التقرب والتحبب وصدق العبودية واليقين بما في خلوة النافلة من بركات وأنوار لا يعرف حقيقتها وطعمها إلّا من تذوقها حقّاً؟

فالمتنفّـل راغـبٌ إلى الله عائـذٌ به يعرف حقيقـة المعبود ويدرك سـر الوقوف بين يديه ويأنس بعذوبـة المناجاة ويبغي

(١) مستدرك سفينة البحار، ج٨، ص ٣٩٣.
(٢) الكافي، ج٣، ص ٤٥٤.

الزلفى والرضا والرضوان، ولا شيء سوى ذلك يفتر جهده ويمنعه عنه.

أسرار النوافل وبركاتها

١- النوافل سياج الفرائض: عن الفضيل: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩﴾، قال عليه السلام: «**هي الفريضة، قلت**»: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ قال: «**هي النافلة**»[1].

وفي التفسير إشارة لطيفة وهي أنّ الاستمرار والدوام على النافلة من شأنه أن يجعل الإنسان يحافظ على الفريضة، وأنّ التفريط بالنافلة لا يمكّن الإنسان من المحافظة على الفريضة، وبالتالي فمن حافظ على النوافل كان على الفرائض أكثر محافظة، ومن تهاون بها كانت الخطوة التالية إذا تمكّن الكسل من المرء أن يفرّط بالفرائض، والعياذ بالله.

فالنوافل سياج يحمي الفرائض من تسلّل الشيطان، فلو حاول الشيطان اقتحام فرائض المرء علق في سياج النوافل،

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص ١٦٤٣.

ولذلك يعمد دائماً إلى إبعاد المرء عن نوافله لتصبح واجباته في متناول إملاءاته ومرمى وسوساته. وهنا إشارة مهمّة وهي أنّ حرص المرء على نوافله كاشف عن شدّة حرصه على فرائضه، وأنّ استهتاره بنوافله دليل عدم حرصه على أداء الفرائض.

٢- النوافل جوابر الفرائض: عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّ أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته**»، فيقول الله عزَّ وجلَّ لملائكته: «**انظروا إلى صلاة عبدي أتمّها أم نقصها**»؟ فإن أتمّها كتبت له تامّة، وإن كان قد انتقصها قيل: «**انظروا هل لعبدي من تطوّع فتكمل صلاته من تطوّعه**»؟ «**ثمّ تؤخذ الأعمال بعد ذلك**»[1]. فما أحوج المرء إلى هذه النوافل كي يجبر بها يوم القيامة ما يتمّ فريضته، فهي باب رحمة ولطف من الله تعالى على الإنسان، وأيّ إنسان منّا لا يخلو من نقصٍ؟ وأيّ منّا لم يطل التقصير بعض فرائضه ما قد يكون في الفرائض؟

وفي قوله «**وتُؤخذ أعماله بعدها**» يوجب على الإنسان أن

(١) كنز العمال، ج ٧، ص ٢٧٨.

يأخذ حذره من التغافل عن النوافل التي ما لم يتمّ فريضته بها فإنّ العبور على بقية الفرائض بعد الصلاة لن يكون ممكناً.

٣- باب للأجر والثواب: فالنوافل باب واسع وعريض لكسب الأجر والثواب، وهذه المستحبّات تدخل في كافّة أبواب الفقه والأخلاق والشريعة، فهي لا تعدّ ولا تحصى، فلو أراد المرء أن يعمل بالنوافل التي تضمّنتها كتب الأعمال والأدعية كمفاتيح الجنان ومصباح الكفعميّ ومفتاح الجنّات والصحيفة السجاديّة وغيرها لاحتاج إلى أزيد من عمره، إلّا أنّ الغريب أنّك ترى بعض الناس يعملون ليل نهار لربح الدنيا، وقلّما يلتفتون لربح الآخرة.

٤- المحبّة والتسديد من الله: قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[1]، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي**

(١) المائدة ٥٤.

بها»[1]. فالنافلة وسيلة اتصال دائم بالله تعالى يعيش معها العبد المؤمن أجمل لحظات القرب من الله فيفيض عليه تعالى من فضلـه وكرمه ما يعجز المرء عن وصفه حين يصبح كما - عبّر الحديث - مرآةً تنعكس عليها أفعال الله تعالى، وكأنّ النوافل وحدها سرّ مقامات الأنبياء والأولياء والصالحين.

٥- محـو السيئات: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[2].

فالحسنات يذهبنَ السيّئات بصريح القرآن، وعلى المرء أن يذكر ذلك دائماً، فهذه المعادلة كما يُعبّر الله ذكرى للذاكرين، ولعـلّ في قولـه تعالـى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾[3] إشـارة لطيفة تُستفاد من كلمة «**لك**» وهي أنّ النوافل زيادةٌ في مقام رسول الله ورفعةٌ فـي مقامه كما أشارت الآية إلى المقام المحمـود والذي فُسّـر بمقام الشفاعة، وهـذا خاصٌّ بالأنبياء والأولياء، وأمّا بالنسبة إلى باقي الناس فهي مكفّرات للذنوب.

(١) كنز العمال، ج ٧، ص ٧٧٠.
(٢) هود ١١٧.
(٣) الإسراء ٨٢.

فالزيادات على الفرائض لا تعدّ في حقيقتها نوافل إلّا في حقّ النبيّ ﷺ لأنّ سلوكه وعباداته وأخلاقه قد بلغت الكمال البشريّ الذي يعصمه من الوقوع في المعاصي.

المحاضرة السابعة

بواعث العمل عند المسلم

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ٤٦﴾[1].

(١) الكهف ٤٦.

الهدف:

الحثّ على ثقافة العمل التطوّعيّ الذي لا يبتغي فيه المسلم إلّا وجه الله ومرضاته.

المقدّمة

إنّ من الأخلاق القاتلة في مسيرة الإنسان الإيمانيّة أن يتسلّل إلى نيّة المؤمن بعض الدوافع والحوافز الدنيويّة ويتحوّل الباعث والمحرّك الذي يدفعه نحو العمل القربويّ مصالح خاصّة ومنافع شخصيّة ترتبط بالأنا والمال والموقع والاسم والشهرة وسوى ذلك من أمورٍ تفقد العمل بعده القربويّ، وبالتالي تفقده جماليّته وجاذبيّته وأخرويّته، فيصبح الدافع نحو العمل لا مقدار ما يترك هذا العمل من أثر في مصلحة الرسالة، بل مقدار ما تتركه الرسالة من منفعةٍ في حياة المؤمن، وتصبح الرسالة خادمةً للإنسان بدل أن يكون خادماً لها ومضحّياً من أجلها.

محاور الموضوع

بواعث العمل لدى الإنسان المؤمن

تختلف الدوافع التي تبثّ الحماسة وروحيّة العمل لدى الإنسان المؤمن والتي تدفعه إلى تحمّل مسؤوليّاته والاندفاع

إلــى التحرّك عــن غيره من أفراد المجتمــع، فهو لا يرى نفسه يــؤدّي وظيفــةً أو يتخلّص من عــبءٍ أثقل كاهلــه أو يحاول التملّص والهروب من واجبه الشرعيّ، بل يرى في عمله عبادةً يتقرّب بها إلى الله ويشعر بالحبّ والرغبة والعشق لهذا العمل الــذي يرقى به فــي معارج الكمال إلــى الله تعالى. ولعلّ أهم البواعــث والدوافع التي تحــدّث عنها القــرآن الكريم يمكن تلخيصها بالأمور الآتية:

١- أداء التكليــف: فامتثال أمر الله تعالى، وكون العمل عملاً عباديّاً من أرقــى الدوافع الذاتيّة لدى الإنسان المؤمن، بل كونــه مورد طاعة وقربة إلــى الله، يجعل أيّ جهد أو تعب أو بذل يبذله الإنسان هيّناً وسهلاً، بل جميلاً ومؤنساً.

٢- عدم النظر إلى المكاسب الدنيويّة: قال تعالى: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾[1]، بينمــا ترى الأمر مختلفاً في جبهة الباطــل فيطلب سحرة فرعون أن يكونــوا من المقرّبين من فرعــون إن تمّ لهم الفوز على موسى عليه السلام كما عبّر القرآن

(١) القصص ٨٣.

الكريم بقوله: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[1].

٣- طلب الأجـر من الله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[2]، وكأنّ مدلول الآية يُشعر بضـرورة أن تكون هذه المعادلة واضحة عند الآخرين، وأنّ الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم لا يتحـرّك إنطلاقاً من أيّ نفـعٍ سوى الأجر والثواب والقرب من الله تعالى.

٤- عدم طلب البدل الماديّ والمعنويّ من الناس: قال تعالى: ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾[3]، ولا يخفى أنّ عدم إرادة أيّ جـزاء ماديّ أو معنويّ مقابـل فعل الإنسان يجب أن يكون متضمّناً لنية القرب التـي تدفع المرء نحو الفعل، وإلّا وقع في الشـرك، وعدم الإرادة يعني الإعراض حتّى لو انقادت الدنيا للإنسان، كما ورد في خطبة المتّقين: «**أرادتهم الدنيا فلم يريدوها**»[4].

---

(١) الأعراف ١١٣ ـ ١١٤.
(٢) الشعراء ١٠٩.
(٣) الإنسان ٩.
(٤) نهج البلاغة، ج٢، ص ١٦٢.

٥- الخوف والخشيــة من الله: قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[١]، وفي التفسير أنّ هذا اليوم هــو يوم القيامــة الذي تظهر فيه الأمــور والنوايا التي كانت تضمرهــا القلوب علــى حقيقتهــا، والأرض يومهــا مشرقةٌ بنــور ربّها ولا خفاء على الله تعالــى، وبالتالي فأهل الإيمان يتوسّلــون النوايا الصادقة إلى الله لأنّهم يخافون ذلك اليوم الذي تتكشّف فيه كافّة الأمور ويظهر عياناً ما كان مخفيّاً في هذه الدار الدنيا.

٦- المسارعــة إلى الفوز بالآخــرة: قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[٢].

والمسارعة إلى المغفرة تعني أنّها همّه الأول وهدفه الكبير الــذي ينشــده، وأنّ قوّة الحركــة وسرعتها نحــو مغفرة الله ورضوانه لا تهدأ ولا يوازيها شيء آخر على الإطلاق.

٧- استبــاق فعــل الخير: قــال تعالــى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

(١) النور ٣٩.
(٢) آل عمران ١٣٣.

شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ ﴾[1]، فالمؤمن لا يرضى بأيّ درجة، بل ينشد القرب من الله لأنّ السبق يستلزم القرب من الله في الآخرة لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2]. والاستباق فعل يستلزم مسابقة شيء آخر وذلك لأنّ المؤمن يسابق الزمان والموت والعجز والمرض والفقر إلى فعل الخيرات والأعمال الصالحة قبل فوات الأوان.

٨- روحيّة التعاون: قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ ﴾[3]، فالمؤمن يرى نفسه جزءاً من جماعةٍ يتحرّك معها ويرتبط بها على عناوين البرّ والتقوى فهو يعضدها ويساندها إيماناً منه أنّ العمل القربويّ عملٌ يحتاج إلى حركة الجماعة، هذه الحركة التي تستبطن ذوبان الأنا في الجماعة لا تسخير الجماعة لمصلحة الأنا.

٩- روحيّة المبادرة: قال تعالى: ﴿ وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾[4]، وهذه الآية تكشف أنّه لا يوجد مساحة

(١) البقرة ١٤٨.
(٢) الواقعة ١٠ ـ ١١.
(٣) المائدة ٢.
(٤) طه ٨٤.

للتريّـث والتفكير بين الأمر الإلهيّ وفعل الإنسان المؤمن، فالأمر الذي يُحرز بـه المؤمن رضا الله تراه يعجل إليه دون تلكّـؤ أو تذمّر أو استخفـاف أو تثاقل، كمـا عبّر الله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، بينما ترى القرآن الكريم ذمّ فعل إبليس إذ لم يبـادر إلى امتثال أمر الله بالسجـود، فقال له: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[2].

(١) التوبة ٣٨.
(٢) الأعراف ١٦.

المحاضرة الثامنة

الإستقامة في الاسلام

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْٓاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾[1].

(١) هود ١١٢.

الهدف:

التعريف بمبدأ الاستقامة الذي حثّت عليه الشريعة وبيان آثار وبركات التمسّك بهذا المبدأ.

المقدّمة

يعتبر مبدأ الاستقامة من أهمّ المبادىء المحوريّة في الشخصيّة الإيمانيّة التي يتمحور حولها الكثير من الصفات والفضائل ومكارم الأخلاق، وبفقدانها يفقد المؤمن أهمّ ركائز الإيمان وأركانه، ويكفي في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**شيبّتني آية في سورة هود**»، حين أمره الله بالاستقامة واستقامة من معه فقال تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾[1]، وقال: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ .. ﴾[2]، بل قد أمر الله تعالى بها أيضاً أنبياءه، فقال في حقّ موسى وأخيه عليهما السلام: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا ﴾[3] وعدّ الجنوح في سلوكهم عن هذا المبدأ ظلماً وطغياناً.

محاور الموضوع

فضيلة الاستقامة

عن الإمام عليّ عليه السلام: «**لا مسلك أسلم من الاستقامة، لا**

---

(١) المصدر نفسه.
(٢) الشورى ١٥.
(٣) يونس ٨٩.

سبيل أشرف من الاستقامة»[1].

وعنه عليه السلام: «**اعلموا أنّ الله تبارك وتعالى يبغض من عباده المتلوّن، فلا تزولوا عن الحقّ، وولاية أهل الحقّ، فإنّ من استبدل بنا هلك**»[2].

والمتلوّن هو العبد الذي لا يتّخذ موقفاً مبدئيّاً من الأحداث والوقائع، بل يتلوّن وفق المصلحة والطمع ومنفعته الخاصّة، ويساير على حساب الرسالة والقيم والمبادىء.

عن عليّ عليه السلام في شرح قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ..﴾ وقد قلتم: «**ربّنا الله فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثمّ لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها**»[3].

وكأنّ الاستقامة تستلزم ثلاثة أمور وهي: عدم الانحراف عنها، وعدم إلصاق أمور بالشريعة وهي ليست منها، وعدم

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٥٣٧.
(٢) بحار الأنوار، ج١٠، ص ١٠٥.
(٣) نهج البلاغة، ج٢، ص ٩٣.

المخالفة فيما أمر الله تعالى ونهى عنه.

وعنه عليه السلام: «**كيف يستقيم من لم يستقم دينه**»؟![1]

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو صلّيتم حتّى تكونوا كالحنايا وصمتم حتّى تكونوا كالأوتار ثمّ كان الاثنان أحبّ إليكم من الواحد لم تبلغوا الاستقامة**»[2].

ثمرة الاستقامة:

والحديث عن الاستقامة حديثٌ عن ملكة تلازم أفعال أهل الإيمان، وعن مقامٍ روحيّ لا ينحدر عنه مهما قست العروض والتحدّيات، فهي ليست فعلاً عابراً أو موقفاً في حادثة أو لحظة تجلٍّ وتجرّد مع الله، بل هي استقامة دائمة بدوام الحياة واستمرار العمل والمواجهة مع أئمّة الكفر والضلال، ومن هنا فإنّ قيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمّة الهدى تكمن في ثباتهم على هذا المبدأ وعدم تزلزلهم أو ضعفهم أو صدور ما ينافي الاستقامة في كافّة أعمالهم ومواقفهم وسلوكيّاتهم، رغم أنواع الإبتلاءات والمحن والعذابات التي تعرّضوا لها، وما زال

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٦٤٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٦٤٢.

أتباعهم يتعرّضون لها اليوم على مساحة العالم كلّه.

١- وفـرة الخيـرات: بمعنى توفّـر النعم الماديّـة لعموم الخلـق، قال تعالـى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾[١].

٢- الأمـان يوم القيامة: قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾﴾[٢]. والتعبيـر بعدم الخوف والحزن من أهم بركات يوم الفزع الأكبر.

٣- البشرى بالجنّة: وهـذا منتهى الفوز بالوعد الإلهي للذين آمنـوا واستقامـوا، قـال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٣].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**من استقام فإلى الجنة، ومن زلّ فإلى النار**»[٤].

---

(١) الجن ١٦.
(٢) الأحقاف ١٣.
(٣) فصلت ٣٠.
(٤) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٦٤٢.

٤- **الفلاح:** وهو نفس معنى البشرى بالجنّة، فعن رسول الله ﷺ: «**إن تستقيموا تفلحوا**»[١].

٥- **السلامة:** أي أنّ الاستقامة ملاذ المؤمن من التعثّر والوقوع في الأخطاء، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**من لزم الاستقامة لزمته السلامة**»[٢].

٦- **الكرامة في الدنيا والآخرة:** عن الإمام عليّ عليه السلام: «**عليك بمنهج الاستقامة فإنّه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة**»[٣].

٧- **السعادة:** عن الإمام عليّ عليه السلام: «**أفضل السعادة استقامة الدين**»[٤].

عاقبة عدم الاستقامة

قال تعالى: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[٥].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٦٤٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٦٤٢.
(٣) م.ن، ج٣، ص ٢٦٤٢.
(٤) م.ن، ج٣، ص ٢٦٤٢.
(٥) الإسراء٧٥.

والضعف هو العذاب كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾[1]

وقال تعالى: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾[2]، وعليه في هذه الآية يتوعد الله تعالى رسوله بثلاثة أمور فيما لو سلك سبيلاً غير سبيل الاستقامة، وهي:

١- مضاعفة العذاب في الدنيا.

٢- مضاعفة العذاب في الآخرة.

٣- أن يكله إلى نفسه فلا ينصره ولا يعينه.

والسبب في تضعيف هذا العذاب أنّ أقسام نعم الله تعالى في حقّ الأنبياء عليهم السلام أكثر فكان انحرافهم عند الاستقامة أعظم، وكانت العقوبة المستحقّة عليها أكثر، ونظيره قوله تعالى في حقّ نساء النبيّ اللّاتي اعتبرهنَّ الله أنّهنّ لَسْنَ كبقيّة النساء: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[3].

(١) ص٦١.
(٢) الأعراف ٣٨.
(٣) الاحزاب ٣٠.

المحاضرة التاسعة

أوجه الاستقامة وتحدّياتها

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣ ...﴾[1]

(١) الإسراء ٧٣.

الهدف:

بيان أهم الجوانب التي ينبغي أن تتجلّى فيها الاستقامة والتحدّيات التي تعترض مسيرة حياة الإنسان المؤمن.

المقدّمة

تبيّـن الآية إحدى أهمّ معـادلات العلاقة بالكفار الذين لا يتخذون خليلاً وحليفاً وصديقاً فـي حياتهم إلّا بعد أن يميلوا بـه عن جادّة الهدى ويحرفوه عن منهـج الإيمان، بل أكثر من ذلك، فهم لا يرضون بأقلّ من أن يستبدلوا آيات الله بكلامهم ثـمّ يطلبوا أن ننسب هذا الكلام إلى الله ظلماً وافتراءً، فيصبح وحي السماء ألعوبة يسخّرونها لمصالحهم ومآربهم وأطماعهم، وهـم في سبيـل ذلك لا يألون جهداً ولا يوفّـرون سعياً، وهذه كانت سياستهم اليوميّة مع رسول الله ﷺ ومع أئمّة الهدى من بعده، وما زلنا نواجه هذه السياسة حتّى يومنا هذا.

محاور الموضوع

وتتجلّـى الاستقامـة في الشخصيّـة الإيمانيّة فـي ميادين مختلفة ومتعدّدة أهمّها:

١- الاستقامة الفكريّة: وهي الاستقامة في مجال التشريعات الإلهيّة والقيم والمبادئ التي دعت إليها الشريعة ومختلف

الأبعاد العقائديّة والأخلاقيّة لرسالة الإسلام، والاستقامة في هذا الجانب أرقى أنواع الإستقامة، ولقد دأبت قريش على الطلب من رسول الله أن لا يسفّه آلهتهم ولا يسبّها ولا يشتمها ولا ينالها بسوء، أو محاولتهم تقسيم العبادة بين آلهتهم وإله رسول الله ﷺ، ومساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراماً كالبيت العتيق الذي حرّمه الله.

ومن الميل عن هذه الاستقامة ما نشهده اليوم من وعّاظ السلاطين وعلماء البلاط من إطلاق الأحكام الشرعيّة والفتاوى الفقهيّة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي يبيحون فيها الدماء والأعراض والممتلكات ويحرمون فيها التعامل والتودّد إلى إخوانهم المسلمين، وكلّ ذلك من أجل أطماع دنيويّة زائلة وتقوية نفوذ أسيادهم وأرباب نعمتهم.

٢- الاستقامة في الميدان الاجتماعيّ: وهي الاعتدال في مقام التعامل مع الناس وتربيتهم وتعليمهم واستقطابهم والمساواة بينهم، والحكم بينهم بالعدل، وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، وعدّ الاستقواء عليهم بل الإحسان إليهم

ومعاملتهم بالحسنى والكلمة الطيّبة، وحثّهم على العمل الصالح وفضائل الأعمال وتحذيرهم من عواقب السيّئات والأعمال الخاطئة ومفاسد الأمور.

ومن الميل عن الاستقامة في هذا الجانب كقبول الرشاوى بعنوان الهديّة والتقرّب من أصحاب المال والثروات طمعاً وجشعاً وتقديمهم في المجالس على حساب الفقراء والعبيد والطبقة الفقيرة من الناس وأن يجعل لهم مجلساً خاصّاً، وتقييم الناس وفق الهوى بعيداً عن الضوابط الشرعيّة كتقريب من له هوًى بهم وإبعاد من هم على غير هواه، وغير ذلك من الأمور التي تجنح بالمؤمن عن جادّة الاستقامة.

٣- الاستقامة في الميدان السياسيّ: وتعني عدم التفريط في حقوق المسلمين وشؤونهم العامّة، وفي إدارة السلطة وضرورة المحافظة على مقدّرات المسلمين وثرواتهم، ومقدّرات بلادهم، وعدم إباحتها لأعداء الدين وبلاد المشركين لنهبها وتحسين أوضاعهم الحياتيّة والمعيشيّة على حساب المسلمين.

ومن الميل عن الاستقامة في الميدان السياسيّ استغلال المنصب لمصالح خاصّة ومداهنة أهل النفاق والضلالة والتودّد إليهم وإبرام الصفقات معهم فضلاً عن إدخال المسلمين في نزاعات وحروب وفتن وخلافات داخليّة لحساب فئةٍ أو جماعة ممّن هم على هواه.

وفي وصايا الإمام الصادق عليه السلام لابن جندب يبيّن مختلف النعم التي تتنزّل على الناس الذين يتحلّون بالاستقامة فيقول: «**لو أنّ شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة ولأظلّهم الغمام ولأشرقوا نهاراً ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولما سألوا الله شيئاً إلّا أعطاهم**»[1].

أسباب الإنحراف عن الإستقامة

ولا شكّ أنّ هناك أسباباً كثيرة لا يمكن إحصاؤها تدفع المؤمن للإنحراف عن جادّة الهدى ومبدأ الاستقامة في حياته الإيمانيّة، إلّا إنّنا هنا نقف على أهم وأبرز هذه الأسباب، وهي:

١- التعجّل بتحقيق تقدّم في الرسالة: وذلك بتوهّم أنّ دخول

(١) تحف العقول، ص ٣٠٢.

بعض الأشخاص المناوئين سيّما إن كانوا من ذوي السلطة والتأثير في أتباعهم والنفوذ في محيطهم، أو من ذوي الكفاءة والخبرة في بعض ميادين العمل، سيؤدّي إلى تقدّمٍ سريع ومزيدٍ من الظهور، فينحرف عن الإستقامة ويقدّم بعض التنازلات المبدئيّة طمعاً في ذلك.

وهذا ما نشهده اليوم من تقديم بعض الدول العربيّة والإسلاميّة التنازلات في القيم والمبادىء الإسلاميّة لبلاد الغرب طمعاً في مساعدتهم على نشر نفوذهم والتأثير في البلاد الأخرى حتّى ولو كانت إسلاميّة.

٢- التأثّر بثقافة الآخرين: وهو من أخطر الأسباب التي نرى تأثيراتها اليوم في مجال ميل الناس عن مبدأ الاستقامة سيّما أمام التقدّم العلميّ الذي شهده الغرب في الآونة الأخيرة فانبهر به الكثيرون من ضعاف الإيمان فعطّلوا عقولهم وبرمجوها بما يخدم أعداء الدين، وانساقوا في متاهات الغرب فوقعوا في مستنقعات الفساد والرذيلة وراحوا يتخبّطون في ثقافات غريبة عنهم وعن قيمهم الدينيّة السامية.

وهـذا التأثـر لم يقتصر علـى ميدانٍ من الميادين أو على شريحةٍ من شرائح المجتمع دون سواها، بل غزا كافّة ميادين الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والسلوكيّة وغيرها، وطال مختلف الشرائح العمريّة والطبقات الاجتماعيّة سيّما عنصر الشباب الذي يحاول الغرب جاهداً إمّا الاستفادة منه في بلاده أو تركه في وطنه فريسة البرامج اللّاأخلاقيّة ومراكز الفساد، وهذا الأمر من الأمور التي تحتاج إلى بحثٍ خاصّ والتي يتمّ البحث فيها اليوم تحت عنوان الحرب الناعمة.

٣- سوء التقدير في الموقف: كأن يتوهّم أهل الإيمان أنّ الإنحراف عن مبدأ الإستقامة شيئاً قليلاً كالتنازل عن الأمور البسيطة أو مجاراتهم في بعض ما يقولون أو تقديم ما لا يستحقّون من تكريم وتقدير قد يؤدّي إلى توعيتهم واستيعابهم شيئاً فشيئاً، فإن مبدأ الاستقامة مبدأ رساليّ وليس سلوكاً شخصيّاً فقد يفيد ذلك في المسائل الشخصيّة والأمور الخاصّة أو المرونة في بعض أساليب العمل وأدواته دون التنازل عن شيءٍ من مبادىء الرسالة

والتغييــر في آيات الوحي ممّــا يؤثّر في ثبات المرء ويزعزع إيمانه.

٤- ضعف الروحيــة الإيمانيّة: كأن يصيب المؤمن خوف من الأعــداء فيحاول أن يدرأ مكائدهــم ومؤامراتهم بشيء من المسايرة والمداهنة، وهو يوهم نفسه أنّه بذلك يحقن الدماء ويخفّف من المعارك والحروب، أو يحاول أن يساير من معه ممّن لا يرغبون بالحرب وأخلدوا إلى الدنيا ونعيمها، فيتّخذ بعض المواقــف التي تنافي الاستقامــة الروحيّة والإيمانيّة لأهل الإيمان، وقد لفت الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ ﴾[1].

(١) القلم ٩.

الباب الثاني

الفتنة علاماتها وسبل النجاة فيها

أسباب وقوع الفتن

الفتنة وأربابها: الصفات والخصائص

سبل النجاة من الفتنة

سبيل المواجهة مع أحداث الفتنة

نتائج الفتنة

المحاضرة الأولى

أسباب وقوع الفتن

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾[1].

(١) - الأنفال، ٢٥.

الهدف:

التعرّف على أهمّ الأمور التي تساهم في نبات الفتنة وتوصيف شكل حركتها في الأمّة.

المقدّمة

إنّ تعرّض أيّ مجتمع سيّما المجتمع الرساليّ لفتنة تحاول حرفه عن مساره الإلهيّ، وبالتالي مصادرة الرسالة الإلهيّة بكافّة إنجازاتها وانتصاراتها أمرٌ ينبغي توقعه دائماً، ولعلّ ذلك مردّه إلى أنّ الثبات على الرسالة في مراحل القوّة والسلطة والنعمة أعظم وأشدّ من الثبات عليها في مراحل الثورة والتغيير الذي يكون مطلب الجميع ورغبتهم، وإنّ امتلاك الإنسان لمقدّرات كبيرة وواسعة بدون الانغماس في لذائذ شهواتها أعظم بلاءً من ابتلائه بالمواجهة واستعداده للبذل في سبيل إقامة حكم الله في الأرض، ولذلك يسقط البعض من أهل الطمع والجشع وضعاف النفوس.

محاور الموضوع

أسباب وقوع الفتن

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ**

رِجَـالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِيـنَ (الطالبين) وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ (مخالطـة) الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ (القبضة من الحشيش أو أيّ شيء آخر) وَمِنْ هَذَا ضِغْـثٌ فَيُمْزَجَـانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِـي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنى»[1].

ويظهر من هذا النصّ مجموعة أسباب أساسيّة تُنشب الفتنة بين المسلمين وهي:

١- **اتبـاع الهـوى:** أي سيطرة الأهـواء الشخصيّة والمصالح النفعيّة وانحسار المبادىء والقيم الإلهية، لتصبح المعادلة الجديدة مقدار انتفاع الأشخاص وحيازتهم على المناصب والأمـوال بدل انتفـاع الرسالة، فيعمل أربـاب الفتنة سعياً لمراكز دنيويّة لا مقامات أخرويّة.

٢- **ابتداع أحكام في عرض الأحكام الإلهيّة:** وهذه الأحكام المبتدعة ليست مجرّد نظريّات أو أفهام خاصّة لنصّ النبيّ

(١) نهج البلاغة - الخطبة رقم: ٥٠.

ﷺ بل هي أحكام في عرض خطّ النبيّ ووصاياه وتعاليمه، وهي ليست في جانبٍ دون آخر كما يظهر من إطلاق القول بل هي أحكامٌ على امتداد الحاجة فتشمل السياسة والعلاقات العامّة، بل قد تطال التشريع والعقيدة وكلّ ما من شأنه إذكاء أسباب الفتنة واستعارها.

٣- **اتباع الأحكام المبتدعة:** أي تطبيقهم لهذه الأحكام واعتمادها بديلاً من سُنّة النبيّ ﷺ، فهم لا يكتفون بالتنظير لها بل ينزلونها منزلة الفعل والعمل، ويدافعون عنها مُلصقين إيّاها بدين الله، فهم بذلك أتباع دينٍ جديد، وسُنّةٍ جديدة ما ألجأهم إليها إلّا ضعف إيمانهم عن اتباع سنّة النبيّ ﷺ.

٤- **نصرة البعض للأحكام الجديدة:** وهو ما يظهر من قوله عليه السلام: «**وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ**»[1]، أي أنّهم يفرضون أحكامهم بالقوّة ويدافعون عنها بالسيف، ويواليهم على هذا الأمر أتباع كثيرون من الجهلة والسذّج وأهل الدنيا.

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ١٠٠.

٥- **التخـاذل عن نصرة الحق:** عن علـيّ عليه السلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ لَـوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَـمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ولـم يقوَ مَن قويَ عليكُم. لكِنَّكُم تهتُم متاه بني إسرائيلَ، ولعمري ليُضعَّفنَّ لكُمُ التِّيهُ مِـن بعدي أضعافاً، بِما خلَّفتُمُ الحقَّ وراء ظُهُورِكُم، وقطعتُمُ الأدنى ووصلتُمُ الأبعدَ...**»[1].

ويـدلّ قوله عليه السلام علـى أنّ نصرة الحقّ عمـلٌ دائمٌ لأهل الإيمان وأن أرباب الفتـن يتربّصون بالأمّة لحظة التخاذل كي يسعّروا نار الفتنة.

وصف بدايات الفتنة

ويصف الإمام عليه السلام كيف تبدأ الفتنة، ويصوّر آليّة حركتها وانتشارها في المجتمع، بقوله:

«**... ثُمَّ إنَّكُـم معشَرَ العربِ أغراضُ بلايا قدِ اقتربَت، فاتَّقُوا سكراتِ النِّعمَةِ واحذرُوا بوائـقَ النقمة (المصائب الكبرى)، وتثبَّتُـوا في قتـامِ العِشوةِ (غبار الظلمة) واعوِجـاجِ الفِتنةِ عندَ**

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ٧٩.

طُلُـوع جنِينها، وظُهُورِ كمينها، وانتِصـابِ قُطبِها ومدارِ رَحاها. تبدأُ في مدارجَ خِفيَّةٍ، وتؤُولُ إلى فظاعةٍ جليَّةٍ. شِبابُها كشِبابِ الغُـلام (إشارة إلـى قوّتها وعنفوانهـا)، وآثارُها كآثـارِ السِّلام (أي الحجارة الصمّاء أي أنّها تجـرح وتكسر) يتوارثُها الظَّلمَةُ بِالعُهُـودِ، أوَّلُهُم قائد لآخِرِهِم، وآخِرُهُم مُقتدٍ بِأوَّلِهِم. يتنافَسُون في دُنيـا دنِيَّـةٍ، ويتكالبُـون على جِيفـةٍ مُريحَة (نتنـة). وعن قلِيلٍ يتبـرَّأُ التَّابعُ مِن المتبُوع، والقائدُ مـن المقُودِ، فيتزايلُونَ (يتفارقون) بِالبَغضاءِ ويتلاعنُونَ عِندَ اللِّقاءِ»[1]..

وهذا النصّ يشير إلى عدّة ملامح يجب التنبه لها وترصّدها في المجتمع قبل استفحالها، وأهمّها:

١- إنّ الفتنـة إنّما تلازم شيـوع روح التّرف في المجتمع كما حذّر الإمام مـن هذا بقوله: (فاتقوا سكرات النّعمة...)[2]، والحرص على التنعّم بملذّات الحياة وتوفير أسباب الراحة والحياة الناعمـة ممّا يصيب المجتمع بالترهّل والانكماش وعدم التأثيـر في الآخرين، ويفقده الـروح الثوريّة وأهدافه

(١) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥١.
(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص ٢٧.

الكبرى القائمة على تحرير الإنسان من براثن الجهل والضلالة.

٢- ما عبّر عنه الإمام بقوله: «**تبدأ في مدارجَ خفيّة، وتؤول إلى فظاعة جليّة**»، فهي تتسلّل إلى الأذهان بطرقٍ خفيّة ولعلّ ذلك إشارة إلى إيحاءات الشيطان، ويكون المرء في سكرةٍ عنها، ثمّ ما تلبث أن تتعاظم شيئاً فشيئاً حتّى تصبح كبيرةً وفظيعة، ولا يلتفت لها الإنسان إلّا بعد هدأتها وانجلاء غبارها كما عبّر عليه السلام في الخطبة ٩٣ من نهج البلاغة، قال: «**إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً**»[1].

فالفتن إذا أقبلت تشابه الأمر على الناس وضاعوا في غياهبها، فإذا أدبرت أدركوا كنهها وحقيقتها وأهدافها وعظيم جريمتها، فمثلها مثل الإعصار يضرب مدينةً فلا تعرف حجم خسائره إلّا بعد زواله ولا تعرف ما ينبغي لك فعله ما لم تلتزم بالإرشادات المطلوبة لهذه اللحظة.

(١) المصدر نفسه، الخطبة ٩٣.

٣- **ما عبّر عنه الإمام بقوله:** «**شِبابها كشباب الغلام، وآثارها كآثار السّلام**»[١]، فهي في فورتها كعنفوان الشاب قويةٌ طموحةٌ لا تهدأ عند هدف، بل تسعى للمزيد من التسلّط والتملّك، وأمّا آثارها فهي كآثار الحجارة الصلبة التي إذا أصابت تركت جراحاً وكدمات بل وكسوراً في جسم الإنسان، فهي كذلك لا تترك جسد الأمّة دون أن تصيبه بالجراح والكسور.

٤- **ما عبّر عنه الإمام بقوله:** «**تتوارثها الظلمة بالعهود، أوّلهم قائد لآخرهم، وآخرهم مقتد بأوّلهم...**»[٢]، وهذه الفتنة ليست مرحلة عابرة وغيمة صيف في تاريخ الأمّة، بل سيعمد أربابها إلى توارثها بالعهود والمواثيق بينهم، وعلى الأمّة أن تبقى على جهوزيّة لهذا الأمر.

٥- **ما عبّر عنه الإمام بقوله:** «**... وعن قليل يتبرّأ التّابع من المتبوع، والقائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، ويتلاعنون**

(١) م.ن، ج٢، ص ٢٧.
(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص ٣٨.

عنـد اللّقـاء»[1]. فالفتنة بعـد انتشارهـا، واستحكامها في المجتمع سوف تبرز التناقضات بين القادة وتظهر الخلافات بينهم علـى اقتسام الغنائـم ويحاول كلٌّ منهـم أن يستأثر بأكثر مـن الآخر، وحينئـذٍ تنقسم قيادة الفتنـة إلى فئات متخاصمـة متناحرة، وتجرّ المجتمع وراءهـا إلى التّخاصم والتّناحر والحروب فتتحـوّل من فتنة إلى فتن ومن جماعةٍ إلى جماعات يسبّح كلٌّ منها بحمد قائده، وهم في الحقيقة يأكلـون منهـا وتأكلهم ليخسـر الجميع بعد ذلـك دنياهم والآخرة.

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٨.

المحاضرة الثانية

الفتنة وأربابها: الصفات والخصائص

تصدير الموضوع:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: من **«دخل في هذا الدِّين بالرجال أخرجه منه الرجال كما دخلوه فيه، ومن دخل فيه بالكتاب والسنّة زالت الجبال قبل أن يزول»**[1].

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص ٥٩٤.

الهدف:

التعريف ببعض صفات أرباب الفتن والأقنعة المزيفة التي تتمظهر الفتنة بها.

المقدّمة

يقول الإمـام الخامنئيّ دام ظله: «**في الظروف الّتي تُهيمن على الفتنة، يكون العمل أشدّ صعوبة، ويكون تشخيص الأمور أصعب طبعـاً، الله تعالى أتمّ الحجّة دوماً، ولم يتـرك للناس أن يقولوا لم نعـرف ولا علم لنا ولم يُتمّ الحجّة علينا، ولـم يُرسل من يُخبرنا، فلذلك ضللنا، وقد ورد هذا المعنى مراراً وتكراراً: إنّ يد الله تُشير في كلّ ناحية. والخلاصة نحن بحاجة لأن نفتح عيوننا**».

وخلاصـة قول الإمام القائد أنّـه لا يستطيع أن يدّعي أحد أنّ ظروف الفتنة أقوى منه وأنّ الطريق لم تكن واضحة ويوجِد لنفسه التسويفات والأعذار، فإنّ ذلك ممّا لا يعذره يوم القيامة بين يدي الله تعالى.

محاور الموضوع

خصائص وصفات أرباب الفتنة

١- محاربـة خطّ الولاية: وبأيّ مستوًى كان تضعيفاً أو إسقاطاً أو مواجهـةً أو قتالاً أو رداً أو بأيّ شكل من أشكال الوقوف

فـي وجه هـذا الخطّ الإلهـيّ الذي يعتبر الوقـوف بوجهه وقوفـاً في مواجهة خطّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلقد تنوّع الخارجون على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بيـن ناكثين بالبيعة وعدم المبايعيـن والمنشقّين عنه لكن فـي الخلاصة كان يجمع هؤلاء قاسمٌ مشتركٌ واحدٌ وهو الوقوف في قبال خطّ الولاية والإمامة الإلهيّة، وبالتالي فإنّ هؤلاء يقودون الفتنة.

واليوم يتنوع المواجهـون لهذا الخطّ الإلهيّ تحت عناوين مختلفة، منها ما هو سياسيّ، ومنها ما هو اقتصاديّ أو اجتماعيّ أو مطلبـيّ وسوى ذلك مـن عناوين لا تستهـدف إلّا إسقاط هذا المشروع الإلهـيّ، ولقد عبّرت زينب عليها السلام بوضوح عن حقيقة المشروع الآخر وأهدافه بقولها في وجه الطاغية: «**فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا**»[1].

٢- **رمزيّـة قيادات الفتنة:** والفتنـة لا تستخدم أشخاصاً غير معروفيـن أو ممّن ليس لهم وزنهم فـي المجتمع بل يتقدّم الفتنة رجالٌ لهم رمزيّتهـم في أذهان الناس سواء كانوا من

(١) مثير الأحزان، ص ٨١.

أهـل العلم أو مـن المحاربين والمجاهديـن سابقاً مع خطّ الولايـة كطلحـة والزبير، أو مـن أهل النفوذ فـي عشائرهم وقبائلهم، أو من أهل السياسة والمناصب العالية كالرؤساء والـوزراء ورؤساء المجالس النيابيّة والوزاريّة وممّن لهم باع طويـل في خدمـة الناس، وهذا كلّه ممّـا يساعد في خداع الناس وانطلاء المؤامرة عليهم وانخداعهم بها.

فعـن أميـر المؤمنين عليه السلام: «**ألا فالحـذر الحذر من طاعة ساداتكـم وكبرائكم... فإنّهم قواعد أساس العصبيّة، ودعائم أركان الفتنة**»[1].

لكـنّ أمير المؤمنيـن يلفت النظر إلى بعض صفات هذه الفئة المتصدّية كما جاء في الخطبة الشقشقيّة:

أ- حب الدنيـا: يقول عليه السلام: «**فَلَمَّا نَهَضْـتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَـةٌ وَمَرَقَتْ أُخْـرَى وَقَسَطَ آخَـرُونَ كَأَنَّهُمْ لَـمْ يَسْمَعُوا اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُـولُ:** ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ **بَلَـى وَاللهِ لَقَـدْ سَمِعُوهَـا وَوَعَوْهَـا**

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ١٤٢.

وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا»؟[1].

والنصّ يتضمّن إشارة لطيفة وهي أنّ الفئات الثلاث التي واجهت عليّاً عليه السلام عندما نهض بالأمر وبويع بالخلافة على الاختلاف القائم فيما بينها حول عنوان المشكلة مع أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا هذه الفئات يجمعها أمرٌ واحد وهو أنّ أربابها من الذين أعرضوا عن آخرتهم وباعوها بثمنٍ بخس من دنياهم، والأهم من ذلك أنّ أرباب الفتنة وإن تمكّنوا من خداع الناس إلّا أنّهم يعلمون حقيقة أمرهم ويعون ما يفعلون، فلقد سمعوا ووعوا وفهموا، لكنّها الدنيا زينها الشيطان في عيونهم فأضلّهم عن السبيل.

ب- تظاهرهم بالصلاح: فقد أرسل الإمام عليه السلام إلى معاوية: «**قَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، فَعَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ**»[2].

ويعمد هؤلاء، بالإضافة إلى الشعارات الخادعة، إلى إلقاء الشبهات كما فعل الخوارج حين ألقوا شبهة: «**لا حكم إلّا لله**»:

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٣٦.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٥٣٢.

فلمّا سمع ذلك عليّ عليه السلام قال «كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ»[1].

٣- التوسّل بالأساليب الملتوية: وقال عليه السلام في حوار مع الخوارج: «أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً وَمَكْراً وَخَدِيعَةً: إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ، وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ»[2].

وهؤلاء القادة المزعومون يحاولون أن يتوسّلوا بالخديعة والمكر والحيلة ويستخدموا نفوذهم في المساحات التي يؤثّرون فيها، فزعيم القبيلة في قبيلته والسياسي في أنصاره والتابعين وأصحاب القدرة في تهديدهم ووعيدهم والمتعلم في فبركة صحة ما يفعلون والفقيه في حلية ما يقومون به، والمتموّل في الدعم الماليّ لهذه الفتنة وكلٌّ من موقعه وقدرته، وممّا لا شكّ فيه أنّ حركة مجموع هؤلاء مع وجود الكثيرين من أهل الطمع والجشع ومحبيّ السلطة وأهل الهوى

(١) نهج البلاغة، ج١، ص ٩١.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٦.

وأصحاب المصالح وتجّار الأديان يوجد جوّاً من الصعوبة بمكان مواجهته والقضاء عليه ما لم يعتصم الإنسان بالعروة الوثقى وحبل الله المتين وصراطه الأهدى المتمثّل بأهل بيت العصمة عليهم السلام.

ولقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الضجيج المفتعل والغبار المصطنع بقوله عليه السلام: «**وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا وَمَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ**»[1].

وهنا يقول عليه السلام إنّ أهل الفتنة يوهمون أتباعهم بأمور لا وجود لها، وينافقون في أفعالهم وأقوالهم، فهم يرعدون ويبرقون دون أن يمطروا، فتعيش الناس أحلام السيل الجارف الذي سيصنعه المطر الموعود، إلّا أنّهم سرعان ما تتكشّف لهم الحقائق ويحصدون فشل أعمالهم.

٤- الشعارات والمطالب المقنعة: ومن الطبيعيّ أن يكون يرفع أرباب الفتنة شعارات يخدعون بها عامّة الناس، ولقد كانت الفتن السابقة في بدايات عصر الرسالة ترفع شعارات

(١) نهج البلاغة، ج١، ص ٤٢.

«**لا حكم إلّا لله**»، ويرفعون المصاحف على رؤوس الرماح، ويطالبون بدم الخليفة، ويسعون لتصحيح مسار الخلافة ويحقنون دماء المسلمين وغيرها من الشعارات البرّاقة.

وأمّا اليوم فباتت الشعارات من نوع آخر فتخرج الفتنة لتطالب بالإصلاح والتغيير والحريّات العامّة والسيادة في القرار وحقّ تقرير المصير والاستقلال السياسيّ وعدم التبعيّة للغرب أو المطالبة بتعديل نصوص الدستور، وغير ذلك من الشعارات التي تستهوي الناس وتنخدع بها فيلج الناس في فتنة صمّاء بكماء لا يعون ما يصنعون سوى أنّهم وقود حركة إصلاحيّة تستهدف التنوير في الدنيا وعالي الدرجات في الآخرة.

٥- **الدعوة إلى معرفة الحقّ بالأشخاص:** عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال: كنّا في مجلس أبان فجاءه شابّ فقال: يا أبا سعيد أخبرني كم شهد مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: فقال له أبان: «**كأنّك تريد أن تعرف فضل عليّ عليه السلام بمن تبعه من أصحاب رسول**

الله» ﷺ، قال: فقال الرجل: هو ذاك، فقال (أبان): «**والله ما عرفنا فضلهم إلّا باتّباعهم إيّاه**»[1].

وأهل الفتنة وأربابها لا يملكون قوةً في مبادئهم وطروحاتهم فيستعيضون عنها بقوة قادتهم ورجالاتهم، فهم لا يدعون إلى مبدأ بل يدعون إلى أشخاص ويربطون الناس بهم على طبق ما كان سائداً في المنطق الجاهلي والقبلي سابقاً، بينما المنطق الذي يتبنّاه أهل بيت العصمة عليهم السلام يعبّر عنه أمير المؤمنين بقوله: «**إنّ الحقّ لا يُعرف بالرجال، إعرف الحقّ تعرف أهله**»[2].

(١) نهج السعادة، الشيخ المحمودي، ج٧، ص ١٩٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص ٦٥٨.

المحاضرة الثالثة

سبل النجاة من الفتنة

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾[1].

(١) الأنفال ٢٣.

الهدف:

توضيح أهمّ الأمور التـي ينبغي أن يتسلّح بها أهل الإيمان والتي تقيهم السقوط في حبائل الفتنة.

المقدّمة

في الحديث عن الأمور المنجية عند الفتن نتحدّث عن أهمّ الفضائل التي ينبغي أن تلازم إيمان المرء ويحرص على تقويتها في نفسه إذ لطالما يحدّثنا التاريخ والحاضر عن شخصيّات معروفة كان لها موقعها الريادي في حركة الرسالة، إلّا أنّ الوهن وضعف الإيمان تسلّل إلى بعض جوانب أنفسهم فجعلهم قادة الفتن وأربابها فانتقلوا من مواقع الكرام في الأمّة إلى ألد أعدائها، وما ذلك إلّا لغفلتهم عن ضرورة أن تبقى أعينهم على أنفسهم يراقبونها ويحاسبونها، ويبقى دأبهم تزكية نفوسهم وتهذيبها وتشذيبها من كلّ ما يعكّر صفوها ويُظلم نورها.

محاور الموضوع

سبل النجاة في الفتنة

من خلال التتبع لكلمات أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيت العصمة عليهم السلام يمكن الوقوف على أهم الأمور التي تعصم المرء من أن تزلّ قدمه عند الفتن، وهي:

١- **البصيـرة:** عن عليّ عليه السلام: «**وَلَا يَحْمِلُ هَذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ**»[١]

وقـال عليه السلام متحدّثاً عن سلاحه الـذي يمنعه من الهلاك فـي أمواج الفتنة: «**وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَـا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ**»[٢].

ومـن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مـع مالك الأشتر لمّا ولّاه إمارتها: «**وَإِنِّي مِـنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي**»[٣]، ويتّضح من كلامـه عليه السلام أنّ البصيرة لها ركنـان أساسيّان، وهما أن يكون على يقين من إثبات الحقّ له، وأن يكون على يقين من إثبات الضلالة لأعدائه.

يقول الإمام الخامنئـيّ دام ظله: «**إذا لم تتوفّر البصيرة لديكم، فلا تعرفون الصديق، ولا تعرفون العدوّ فسترون أنّ العدوّ فجأة سيصوّب مدفع إعلامكم وكلامكم وتصرّفاتكم وأعمالكم نحو**

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ٨٧.
(٢) نهج البلاغة، ج١، ص ٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٢٠.

مـكان يجتمع فيه أصدقاء لكم، لا أعـداء. فإذا أردنا أن نعرف العدوّ ولا نُخطئ فـي تشخيص العدوّ فلا بُدّ من البصيرة، ولا بُدّ من البيان».

بعضـ الأخطاء الّتي يقوم بها بعض الناس - تلاحظون أنّ البعض فـي مجتمعنا سواء من العـوامّ أم الخواصّ يخطئون، والمتوقّع أن تكـون أخطار النخبة أقلّ بينما نرى أنّ أخطاءهم، وإن كانت قليلـة، إلّا أنّها من ناحية الكيفيّـة كثيرة وكبيرة بل أكبـر من أخطاء عامّة الناسـ - ولا نقول كلّ تلك الأخطاء - ولكـن جلّها - ناتجة من قلّة البصيـرة أو عدمها، فاعملوا على رفع مستوى البصيرة لديكم، ومستوى المعرفة كذلك.

قد يكون السكوت أحيانـاً وعدم التدخّل في الأمور عاملاً مساعـداً على الفتنة، ففي الفتنة يجب على الجميع أن يكونوا يقظين، وعلى الجميع أن تكون لديهم البصيرة.

وتفسيرها فـي ضوء كلامه عليه السلام: «**وَقَدْ فُتِـحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُـمْ وَبَيْنَ أَهْـلِ الْقِبْلَةِ، لقد كانوا يُصلّـون ويصومون، وهذا**

معنى الفتنة، بل هذا مصداق بارزٌ من مصاديقها»[1].

وهو الّذي يقول حول مواجهته لأصحاب الجمل والناكثين: **«أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ»**[2].

٢- الصبر: فقد يتمثّل في الصبر على الحرب والآلام والسجن والتعذيب والنفي، وقد يتمثّل في تحمُّل الشتائم والسباب والاتهامات والاحتقار والافتراء. وجميع ذلك يكون لأجل إخراج الصالحين من ساحة المواجهة مع الكفر والنفاق والفساد.

٣- العلم: عن رسول الله ﷺ: **«ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، إلّا من أحياه الله تعالى بالعلم»**[3].

وهنا نستمع لقول عمّار بن ياسر لأحدهم يسأله عن قوّة الخصم يوم صفين وأنّ ذلك لعلّه دليل تأييد الله لهم، فقال له: **«أما إنّهم سيضربونكم بأسيافهم حتّى يرتاب المبطلون منكم، فيقولوا: لو لم يكونوا على حقّ ما أظهروا علينا، والله**

---

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ٨٧.
(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص ٦٠١.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٤٥٢.

مـا هم مـن الحقّ على ما يقـذي عين ذباب، والله لـو ضربونا بأسيافهم، حتّى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنّا على حقّ، وأنّهم على باطل»[1].

٤- التقـوى: عن عليّ عليه السلام: «**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ**»[2].

والتقوى عنوان عريض يتّسـع لكافّة ميادين حياة الإنسان، وهي الـرادع له عن اقتحام أبواب المصالـح والمنافع متخطّياً حـدود الله وآياتـه وأحكامـه، فلقـد كان علـيّ عليه السلام عالمـاً بأساليب معاويـة وسياساته وألاعيبه لكنّ تقواه وورعه يحولان دون إقدامـه على الخطـأ، وهو القائل: «**وَاللهِ مَـا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُـرُ وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ**»[3].

٥- ملازمة وليّ الأمر: جـاء في حديث أبي أيّوب الأنصاريّ أنّ رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمّار: «**سيكون بعدي هنات حتّى**

(١) شرح نهج البلاغة، ج٥، ص ٢٥٨.
(٢) نهج البلاغة، ج٢، ص ١١٢.
(٣) نهج البلاغة، ج٢، ص ١٨٠.

يختلف السيف فيما بينهم، وحتّى يقتل بعضهم بعضاً وحتّى يتبرّأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني، عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإن سلك الناس كلّهم وادياً وسلك عليّ وادياً فاسلك وادي عليّ»[1].

وعن عليّ عليه السلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ**»، يُشبِّه عليه السلام الفِتن بأمواج عاتية حيث لا يمكن للمرء أن ينجو منها بنفسه وقدراته بل يحتاج لركوب هذه السفينة الناجية والمنجية والتي هي عبارة عن أهل البيت صلوات الله عليهم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من دخل فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق»[2].

واليوم تتمثل سفينة النجاة بوجود بقيّة الله الأعظم أرواحنا فداه، والتي يقودها في زمن الغيبة نائبه العامّ جانب الوليّ الفقيه.

(١) المناقب، ج٣، ص٢٠٣.

(٢) الاحتجاج، ج١، ص٤٠٧.

ويؤكـد عليّ عليه السلام على هـذه الوسيلة المنجيـة من الفتن بقوله عند الفتنة التـي ألمّت بالأمّة عند مقتل الخليفة الثالث بقوله: «**إنَّ النَّاس من هذا الأمرِ إذا حُرِّك على أُمُورٍ: فِرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترونَ، وفِرقة لا ترى هذا ولا ذاك. فاصبِرُوا حتَّـى يهدأ النَّاسُ، وتقع القُلُوبُ مواقِعها (أي تهدأ وتستقر بعد اضطرابها) وتُؤخذَ الحُقُوقُ مسمحَةً (أي ميسّرة)**»[1].

«**فاهـدأُوا عنّـي، وانظُرُوا مـاذا يأتيكُم بِهِ أمـري، ولا تفعلُوا فعلَـةً تُضعضِعُ قُوةً، وتُسقِطُ منّةً(أي قدرة)، وتُورِثُ وهناً وذِلّةً. وسأُمسِـكُ الأمر ما استمسك، وإذا لم أجِد بُـدًّا فآخِرُ الدَّواءِ الكيُّ**»[2].

وهنا نرى الإمام يطلب التزام الهـدوء والتّروّي، وأن يتركوا لـه اتّخاذ القـرار المناسب - سـواء إمساك الأمـر بالمعالجة الإيجابيّة أو المعالجـة السلبيّة - سيّما أنّ هذه التجربة كانت جديدة على الأمّة وأنّ أيّ موقف خاطىء قد يزيد الأمور تعقيداً والمفاهيم تشوّشاً.

---

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ٨١.

(٢) المصدر نفسه ، ج٢، ص ٨١.

٦- **الإخلاص:** فإخلاص المرء لقضيّته ورسالته وثباته على النهج القويم يوفّق المرء إلى عدم الإنجرار في غياهب الفتنة التي إنّما يغرق فيها طالبو الدنيا وزخارفها دون طالبي الآخرة ودرجاتها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى للمخلصين، أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كلّ فتنة ظلماء**»[1].

(١) نهج البلاغة، ج١، ص١٩٨.

المحاضرة الرابعة

سبيل المواجهة مع أحداث الفتنة

تصدير الموضوع:

قال عليه السلام: «وسأمسك الأمر ما استمسك فإذا لم أجد بداً فآخر الدواء الكيّ»[1].

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ٨١.

الهدف:

الحرص على الدخول في مواجهة الفتنة وفق الضوابط الشرعية دون ردات أو غوغائية.

المقدّمة

تختلـف ظروف الفتنة عن غيرها من الظـروف التي تمرّ على الأمّـة، فهي تحتاج إلـى الحد الأعلى من التنبّـه واليقظة وعدم الغفلـة عن صغائر مجريات الأمور فضلاً عـن كبائرها، سيّما وأنّ أحداثها لا تجري في جبهةٍ خارجيّة ومواجهةٍ على الحدود، وإنّما في مواجهـة الوعي وتحدّي البصيرة ومعركة الرأي العامّ قبل أن تكون أيّ شيء آخر ولذلك كان لها سياساتها الخاصّة وكان لا بدّ فيها من أعلى درجات الانتباه واليقظة ولذلك قال عليه السلام: «**وَاللهِ لاَ أَكُونُ كَالضَّبُـعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ حَتَّى يَصِـلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَـا رَاصِدُهَا وَلَكِنِّي أَضْـرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي**»[1].

محاور الموضوع

سياسات المواجهة

في مواجهة الفتن الداخليّة سنّ أمير المؤمنين عليه السلام قاعدةً

(١) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٢.

شرعيّةً فـي إدارة هذا الموضوع، وهي تتمثّـل بعدّة سياسات تأتي تباعاً بعد بعضها البعض، ولا يجوز الانتقال إلى المرحلة التاليـة إلّا بعد اليأس من إمكانيّة العلاج في المرحلة الأولى، وقد عبّر عنها على الشكل التالي:

أوّلاً: سياسـة الإحتـواء: قـال عليه السلام: «**وسأمسـك الأمـر ما استمسك**»[1].

ومـن الواضـح أنّ عليّـاً عليه السلام كان يحرصـ على احتواء الجميع وعدم الانجرار إلى ما يمزّق الأمّة ويضعفها وأنّه سيبقى ممسكاً بعدم المواجهة ما دام ذلك ممكناً أي ما دام ذلك لا يشكّل خطراً على الرسالة، وأمّا وإن خرج الأمر عن هذا الحدّ فإنّ العلاج الاضطراريّ سيكون في كيّ الخطأ.

وهذه السياسة هي التي كان عليه السلام يأمر أتباعه بها بعيداً عن الاحتقان وإثارة الضغائن والنعرات كما نشاهد اليوم من صرف المليارات وتجنيد الملايين وتسخير الآلاف من المؤسّسات مـن أجل نشر الكراهيـة والضغينة بيـن المسلمين فيما كان

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ٨١.

أميـر المؤمنين عليه السلام يوصي بالوحـدة والتماسك وعدم الردّ بالمثـل وامتصاص الفتنة وعدم التصرّف بردات الفعل، فقال عليه السلام: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُـوا سَبَّابِينَ وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُـمْ اللهمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ»[1].

ويمكن قراءة هذه السياسة مع الفئات الثلاث التي واجهها أمير المؤمنين عليه السلام:

مـع ناكثي البيعة: قـال عليه السلام لطلحة والزبيـر: «فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَـانِ عَنْ رَأْيِكُمَا فَـإِنَّ الْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَ النَّارُ[2].

وبيّن عليه السلام موقفه منهما بقوله: «وَلَقَدِ اسْتَثْبَتُّهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَافِيَةَ[3].

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٨٥.
(٢) م.ن، ج٣، ص ١١٢.
(٣) م.ن، ج٢، ص ٢١.

مع معاوية: فقد كتب إليه: «**فَاتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ وَاصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ**»[1].

مع الخوارج: فقد حذّرهم عليه السلام وأنذرهم وحاول استيعابهم قبل القتال، بل لطالما حاججهم وأرسل لهم من يحاججهم علّهم يرتدعون عن ضلالتهم، فقال عليه السلام لهم: «**فَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هَذَا النَّهَرِ وَبِأَهْضَامِ هَذَا الْغَائِطِ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ**».[2]

ثانياً: سياسة الكيّ: قال عليه السلام: «**فإذا لم أجد بُدّاً فآخر الدواء الكيّ**»، وفي تعبيره عليه السلام بالكيّ إشارة لافتة إلى أنّ المعالجة ستكون بمقدار الجرح تماماً كما يكون الكيّ بمقدار الجرح.

ففي هذه المرحلة يحاول أمير المؤمنين عليه السلام التأديب بالسوط بعد فشل التأديب بالكلمة، كما يُقام الحدّ على

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص ٨١.
(٢) نهج البلاغة، ج١، ص ٨٧.

المتجاوزيــن بالقصاص لما فيــه من بثّ روح الحياة فيهم وفي المجتمــع من جديد، وهو بذلك لا يريــد خسارتهم أو طردهم من سلطته وولايته، بل يريد لهم أن يكونوا أفراداً صالحين لهم مــا لأفراد الأمّة وعليهم ما عليهم، لأنّ الظاهر من كلامه عليه السلام أنّ سياسة الكيّ إنّما تأتي كآخر الإجراءات فيما يرتبط بسياسة الكيّ، وليست تدبيراً يأتي وفق سياسة القتال والمواجهة.

وعلــى كلّ حال فمن الواضح أنّ المواجهة صعبة والتحدّي على مستــوى الالتزام صعب والمغريات كبيرة جدّاً إلى الحدّ الــذي يتقلّــب الكثيرون بين ليلــةٍ وضحاها، وهذا مــا عبّر عنه رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**ليغشينّ أمتي مــن بعدي فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل**»[1].

وقــد ورد عنــه عليه السلام إشارة إلــى سياسة الاحتــواء والكيّ بمقــدار الضرورة حيث يقول: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّــي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِــظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُــمْ وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ**

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٩٦.

الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا»[1].

ثالثاً: سياسة المواجهة والقتال: وهذه المرحلة الأخيرة تأتي بعد اليأس من المرحلتين السابقتين وإصرار أرباب الفتنة على تهديد الرسالة والدين، أي في هذه المرحلة لا يكون الخطر متوجّهاً إلى شخص أو إلى منافع أو تجاوز في السياسات المالية والإدارية أو غيرها من الأمور التي تشكّل خطراً على بعض التشريعات والقواعد التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّما يكون الخطر موجّهاً نحو هدّ البنيان من أساسه وإزاحة الدين عن ممارسة السلطة السياسيّة كلّها، وهذا ما عبّر عنه بقوله عليه السلام: «قَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ فَلَمْ أَرَ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم»[2].

وفي مكانٍ آخر يقول عليه السلام: «وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ حَتَّى مَنَعَنِي النَّوْمَ فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٠، ص ٩٩.
(٢) نهج البلاغة، ج١، ص ٩٤.

أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ[1].

وهـذه المواجهة هي التـي عبّر عنها بقولـه عليه السلام: «**فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي**»[2]، ومن الواضح صعوبة تلك المرحلة وحساسيتها حيث مال الكثيرون من الناس إلى أرباب الفتنة وخاف البعض من المواجهة وبقي البعضـ أحلاس بيوتهم فيما لم يجرؤ علـى المواجهة وفضح المشروع الجديد للأمّة إلّا أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) المصدر نفسه، ج١، ص١٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج٧، ص ٤٤.

المحاضرة الخامسة

نتائج الفتنة

تصدير الموضوع:

عـن علـي عليه السلام: «**ثمّ يأتـي بعد ذلك طالع الفتنة.....فتزيغ قلوب بعد استقامة وتضلّ رجال بعد سلامة**»[1].

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص٣٨.

الهدف:

عرض بعضـ النتائج والآثار التي تنجم عـن انتصار الفتنة للتحذير من الوقوع فيها.

المقدّمة

إنّ النتائج المترتّبة على أيّ فتنة والتي تنتصر وتستولي على السلطة بقوة السلاح والقهر، ليست سوى الأهداف التي يحملها أرباب هذه الفتنة والدعاة لها، والتي هي انعكاس لأخلاقهم وأطماعهم وعقولهم المريضة وطريقة تفكيرهم في الحياة، فإذا قرأنا أنّ من نتائج الفتنة الخروج عن مبادئ الدين والتنكّر لكلّ ما جاءت به الرسالة السماويّة فذلك ليس سوى انعكاس لنفوسهم التي لم يدخل إليها نور الهداية مطلقاً، وكذا الأمر في سلوكهم وقواعد سياستهم وأخلاقهم، فالفتنة دينٌ جديد يُلبسونها ثوباً برّاقاً يحسبه الناظر إليه أنّه دين الإسلام.

محاور الموضوع

نتائج الفتنة وآثارها

يبيّن أمير المومنين عليه السلام الآثار القاتلة والمدمّرة للفتنة التي تستطيع أن تحقّق إنتصاراً سياسيّاً وتصل إلى سدّة الحكم معتبراً أنّها أسوأ ما يمكن أن يعترض مسيرة الأمّة في

مسار تحقيق أهدافها الإلهيّة التي جاء بها الدين الحنيف، والتي يمكن تلخيصها بعدّة أمور أهمّها:

١- حاكمية الإجرام والإذلال

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا وَسَيْفاً قَاطِعاً وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً**»[١].

فالفتنة لا تستطيع أن تنتهج سياسات منطقيّة ودينيّة، ولو كانت كذلك لما وصل أربابها إلى السلطة أساساً، وإنّما ينتهجون سياسة القتل والإجرام ويُعملون في الناس أسيافهم القاطعة، ومع ذلك كلّه فإنّ السلطة تصبح عهداً يتوارثه الظلمة، وهذه خلاصة طبيعيّة لأنّ ابتعادهم عن السلطة وتخلّيهم عنها يعني الاقتصاص منهم لما أفسدوا وقتلوا ودمّروا.

٢- توارث هذه السلطة والحكم

يقول عليّ عليه السلام: «**يتوارثُها الظَّلمَةُ بِالعُهُودِ، أَوَّلُهُم قائد لآخِرِهِم، وآخِرُهُم مُقتدٍ بِأَوَّلِهِم. يتنافَسُون في دُنيا دنِيَّةٍ، ويتكالبُون على جِيفةٍ مُريحَة (نتنة)**»[٢].

(١) نهج البلاغة، ج١، ص١٠٦.
(٢) المصدر نفسه، الخطبة رقم: ١٥١

وهنا إشارة إلى نهجٍ له سياساته وثقافته ورموزه التي تأخذ مكانها في المجتمع بديلاً من سنّة رسول الله ﷺ، فهناك القادة الذين يرسمون معالم الطريق، وهناك الأتباع الذين يتبعون أثرهم ويقتدون بهم.

٣- تعطيل أحكام الإسلام والانحراف عن مبادئه

يقول عليّ عليه السلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ**»[1].

فالمعركة مع الإسلام والرسالة، والهدف إسقاط المشروع الإلهيّ حتّى ولو صوّروا المواجهة بصورٍ غير ذلك، كتصويرها بأنّها حرب أشخاص أو قبائل أو طبقات أو جغرافيا، بل قد تصل ألاعيبهم لتصويرها على أنّها حرب لتصحيح مسار الرسالة ومواجهة الانحراف وإحياء الأحكام الدينيّة، لكنّ تعبير أمير المؤمنين عليه السلام يوضّح هدفهم الأكبر بإلقاء الإناء بما فيه، أي التنكّر والارتداد عن أصل الرسالة وعن كلّ ما جاء به رسول الله ﷺ.

(١) م.ن، ج١، ص١٥٨.

٤- تبدّل القيم وشيوع الفساد

يقول عليّ عليه السلام: «**فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ... وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ**»[1].

ومن نتائج الفتنة المدمّرة للمجتمع استحكام الباطل وانتشار الجهل، ولا يخفى أنّ تبدّل القيم في المجتمع يودي بإنسانيّة الإنسان، وإذا فقد الإنسان إنسانيّته يصبح المجتمع مجتمعاً فاسداً قاسياً تحكمه شريعة الغاب وتتلاعب به أهواء الظلمة وتتحكّم بسلطته أطماع الفاسدين.

ولا غرو في ذلك فإنّ الفتنة إذا استحكمت في مجتمع انتقلت أخلاق أربابها إلى سائر الناس كانتقال الفضائل والقيم السامية في المجتمع الذي يحكمه الأنبياء والأولياء.

٥- محاربة أهل الإيمان ومطاردتهم

يقول عليّ عليه السلام: «**فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ طَرِيدَانِ مَنْفِيَّانِ**»[2].

وما أبلغه من قول يصوّر فيه أمير المؤمنين أهل الإيمان في

(١) نهج البلاغة، ج١، ص ٢٠٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ٣١.

ذلك المجتمع الذي تحكمه الفتنة،حيث لا مكان لهم بل هم الأعداء الحقيقيّون للأمّة الذين يجب طردهم وملاحقتهم ونفيهم خارج الدولة التي يسيطرون عليها.

أهل الإيمان الذين ضحّوا وعانوا وبذلوا الغالي والنفيس من أجل إقامة حكم الله واستقرار المجتمع العادل وانتشار الإسلام وتقوية سلطانه ودولته، يصبحون ألدّ أعداء الأمّة الذين يجب محاكمتهم والاقتصاص منهم ومن أتباعهم.

٦- التلاعب بالمال العامّ

يقول عليّ عليه السلام: «**وَلَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا... وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الْأَخَسَّ**»[1].

فالمال العامّ في عصر انتصار الفتنة يغدو مالاً خاصّاً بسفهاء الأمّة وفجّارها، وبالتالي فإنّ الناس تصبح عبيداً لأئمّة المال، فلا مبادىء ولا قوانين ولا مشروع يحمله أرباب الفتنة إلى الناس سوى استخدامهم وقوداً في حروبٍ ومعارك لا

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص ١٢٠.

تستهـدف سوى المزيد من التسلّـط وبسط النفوذ، ولا يكون لعامّة الناس نصيبٌ من ثـروات الدولة ومقدّراتها إلّا الأخسّ الذي لا يغني ولا يسمن من جوع.

٧- ظهور التفاوت الطبقيّ

وتستحكـم الطبقيّة ويظهـر التفاوت الاجتماعـيّ جليّاً في عصـر الفتنـة وحكمها، ويغلب علـى كلّ طبقة سمـة خاصّة يصفها أميـر المؤمنين عليه السلام بقوله: «**وَكَانَ أَهْـلُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً وَأَوْسَاطُـهُ أُكَّالًا وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً**»[1]. وكأنّ الرحمـة تُنزع مـن قلوب أهـل الفتنة وأهل ذلـك الزمان فلا مكان للفقير ولا من ثقافة تحثّ الغنيّ على الإنفاق بل الثقافة السائـدة هي التكالب علـى الدنيا والفوز بالقـدر الأكبر منها بدون تمييز بين حلال وحرام.

٧- الفتنة تودي بأصحابها في نهاية المطاف

يقـول عليّ عليه السلام: «**وعـن قلِيلٍ يتبـرَّأُ التَّابعُ مِـن المتبُوع، والقائـدُ من المقُودِ، فيتزايلُونَ (يتفارقون) بِالبَغضاءِ ويتلاعنُونَ**

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٠٩.

عِندَ اللِّقاءِ»[1]. فالفتنة التي أضرموا نارها سيحترقون بها، والتي شحذوا سيوفهم لاستحكامها ستقطع رقابهم عمّا قريب، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من شبّ نار الفتنة كان وقوداً لها**»[2].

ومن الطبيعيّ أنّه مع فقدان القيم والمبادئ لا يبقى حصانة لأحد، وتستحكم الأهواء والأحقاد الشخصيّة وأحلام الثراء والسلطة، وينفخ الشيطان في عقولهم ونفوسهم، فتقع النزاعات وتنشب الحروب بين من كانوا حلفاء في الماضي القريب فيتبرّأ بعضهم من بعض ويكفر كلٌّ منهم بما عند الآخر.

يقول عليّ عليه السلام: «**وَسَيَنْتَقِمُ اللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ**»[3].

(١) م.ن، الخطبة رقم: ١٥١.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٣٦٧.
(٣) نهج البلاغة، ج٢، ص ٥٥.

الباب الثالث

الإنفاق في سبيل اللّه(١)

- الإنفاق في سبيل الله (١)
- الإنفاق في سبيل الله (٢)
- حسن التدبير

المحاضرة الأولى

الإنفاق في سبيل اللّه(1)

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾[1].

(١) البقرة ٢٧٢.

الهدف:

بيان نظر الشرع إلى الإنفاق وتقوية حسّ التعامل مع المال وفق المعايير التي أقرّتها الشريعة الإسلاميّة.

المقدّمة

حثّت الشريعة الإسلامية الإنسان على أن يمهّد لنفسه بالإنفاق في سبيل الله معتبرةً أنّ ذلك من أفضل الذخائر التي يقدّمها بين يدي الله لآخرته، بل لعلّ المال الوحيد الذي ينتفع المرء به هو المال الذي أرسله أمامه وأنفقه ابتغاء المغفرة والرضوان من الله، وأن الإنسان أحوج إلى المال الذي يقدّمه منه إلى المال الذي يجمعه، بل هو أحوج إلى المال الذي يقدّمه منه إلى السائل الذي يطلبه، فالسائل بابك إلى رضوان الله ومغفرته وبه يمتحن الله عباده بصدق إيمانهم وسلامة يقينهم وقوّة دينهم.

محاور الموضوع

أمثال الإنفاق في القرآن

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[1].

(١) البقرة ٢٦١.

وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾[1].

الحاجة إلى أجر الإنفاق

قال تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾[2].

لا شكّ أنّ المال بذاته بغضّ النظر عن كيفيّة إنفاقه وسبل استخدامه لا يمكن وصفه بالنعمة أو النقمة، وإنما ذلك فرع استعمال الإنسان له والجهة التي يبذله فيها، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّ إنفاق هذا المال في طاعة الله أعظم نعمة، وإنّ إنفاقه في معاصيه أعظم محنة**»[3].

بل ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أكثر من ذلك، فقال: «**ملعون ملعون من وهب الله له مالاً فلم يتصدّق منه بشيء**»[4].

والمال الذي تنفقه لا لحاجةٍ عند السائل تقضيها له

(١) البقرة ٢٦٥.
(٢) الحديد ٧.
(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص ١٤٣.
(٤) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٠.

بـل لحاجةٍ فـي نفس المعطـي يبتغي التزكيـة والقرب، فعن علـيّ عليه السلام: «**إنّكـم إلى إنفاق ما اكتسبتـم أحوج منكم إلى اكتساب ما تجمعون**»[1].

وعنـه عليه السلام: «**إنّكم إلى إجراء ما أعطيتـم أشدّ حاجة من السائل إلى ما أخذ منكم**»[2].

يقول العرفاء فـي شرح هذا الحديث الشريـف أنّ الصورة الظاهريّـة للإنفاق والصدقة أنّ المتصدّق يعطي الفقير مالاً إلّا أنّ الصورة البرزخيّة للعطاء أنّ الفقير هو الذي يعطي المتصدّق، لأنّـه يعطيه الأجـر والثواب، ولذلـك كان الإمام الباقر عليه السلام يمنـع السائـل أن يمد إليه يده، بـل كان الإمام هو الذي يضع المال في يده ويقدّمه للفقير كالسائل فيلتقطه من يده.

عنه عليه السلام – في وصيته لابنه الحسن عليه السلام: «**إنّما لك من دنياك مـا أصلحت به مثـواك، فأنفق في حـقّ ولا تكن خازناً لغيرك**[3]**. (أي للأولاد والورثة)**».

---

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٠.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٥٠.
(٣) تحف العقول، ص ٨٣.

ويشبّه رسول الله ﷺ مال الإنفاق نسبةً للمال الذي إدخره ولـم ينفقه كنسبة ماله إلى المال الذي ورثه فيقول لأصحابه: «**أيّكـم مال وارثه أحبّ إليه من ماله**» ؟ قالوا: يا رسول الله! ما منّا أحـد إلّا ماله أحبّ إليه من مال وارثـه. قال: «**فإنّ ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر**»[1].

وعد الله بالخلف في الإنفاق

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[2].

فالله يؤكّد للإنسان أن ينفق ممّا بسطه الله له، فهو الرازق، بل هـو خير الرازقين، وما على الإنسان إلّا أن يتيقّن هذه المعادلة ويبقـى حاضر الذهن أنّ ما بيـده من مال فالله هو الذي أجراه بيـن يديه ليرى صدق يقينه بما أمـره به، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**أنفق وأيقن بالخلف**»[3].

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٣.
(٢) سبأ ٣٩.
(٣) الكافي، ج٤، ص ٤٣.

وإذا كان الله مـن وعد بالخلف فمـن أوفى من الله بوعده؟ فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**من أيقن بالخلف جاد بالعطية**»[1].

وإذا كان الله يخلفـه فالإنفاق لا ينقص مالاً كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما نقص مال من صدقة قطّ، فأعطوا ولا تجبنوا**»[2].

وعن عليّ عليه السلام – لرجل ادعى في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم ... ﴾ أنه ينفق ولا يرى خلفاً: «**أفترى الله أخلف وعده ؟ قلت: لا، قـال: فممّ؟ قـال: لا أدري، قال: لـو أنّ أحدكم اكتسب المـال من حلّه وأنفقه في حقّه لم ينفـق درهماً إلّا أخلف الله عليه**»[3].

بقاء ما أنفق وفناء ما لم ينفق

قال تعالـى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[4].

وعـن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير هذه الآية: «**كلّ ما أبصرته بعينك واستخلاه قلبك فاجعله لله فذلك تجارة الآخرة**»، لأنّ

(١) نهج البلاغة، ج٤، ص ٣٤.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٤.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٥٤.
(٤) النحل ٩٦.

الله يقول: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾[1].

فإذا كان ما عند الله باقياً فحريٌّ بالإنسان أن يقدّم إلى آخرته أفضل ما يرجو أن يرد عليه، بل ما نفع مالٍ لا يرى منه الإنسان شيئاً في آخرته، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**لم يرزق المال من لم ينفقه**»[2]. وعنه عليه السلام: «**جودوا بما يفنى تعتاضوا عنه بما يبقى**»[3].

من لم ينفق في طاعة الله ينفق في معصيته

وكأنّ الإنفاق سنّة لا يمكن الحياد عنها، وعلى المرء أن يختار بين أن ينفق في طاعة الله فينعم بثواب ما أنفق أو ينفق في معصية الله فيأثم على فعلته ويُعاقب عليها، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من منع ماله من الأخيار اختياراً صرف الله ماله إلى الأشرار اضطراراً**»[4].

ومثله عن الإمام الصادق عليه السلام: «**اعلم أنّه من لم ينفق في طاعة الله ابتلي بأن ينفق في معصية الله عزَّ وجلَّ، ومن لم**

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٤.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٥٥.
(٣) م.ن، ج٤، ص ٣٣٥٥.
(٤) م.ن، ج٤، ص ٣٣٥٥.

يمش في حاجة ولـيّ الله ابتلي بأن يمشي في حاجة عدو الله عزَّ وجلَّ»[١].

وعــن الإمام الباقر عليه السلام: «ما من عبــد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلّا ابتلي بأن ينفق أضعافها فيما أسخط الله»[٢].

وعن الإمــام الكاظم عليه السلام: «إيّاك أن تمنــع في طاعة الله، فتنفق مثليه في معصية الله»[٣].

وعــن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من عبــد يمنع درهماً في حقّه إلّا أنفق اثنين في غير حقّه»[٤].

(١) م.ن، ج٤، ص ٣٣٥٥.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٥٥.
(٤) م.ن، ج٤، ص ٣٣٥٥.

المحاضرة الثانية

الإنفاق في سبيل اللّه(٢)

تصدير الموضوع:

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: **«إن من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار»**[1].

(١) الكافي، ج٢، ص ٢٤١.

الهدف:

بيان بركات الإنفاق وآثاره والأمور التي ينبغي الاحتراز عنها عند الإنفاق.

المقدّمة

لا شــكّ أنّ الإنفاق في سبيل الله من أكبر التحدّيات التي يعيشهــا الإنسان في حياته لما لها من آثــار دنيويّة ظاهرة على مستوى تودّد الناس للمنفــق وتحبّبهم إليهم وإظهار الاحترام والتقديــر وغيرها من الأمور التي يمكن للإنسان أن يستثمرها فــي كسب مصالح دنيوية ومناصــب خاصّة، لظاهر أنّ المنفق إنســانٌ يشارك الناس في ماله، ولذا يعمد الشيطان إلى إبرازها له وتزيينهــا في عقله وقلبه حتّى يحجب عنــه الدوافع الإلهيّة والمحفّزات الشرعيّة التي عليها تترتّب بركات الأجر والثواب ورفيع الدرجات في الآخرة وجمال الاسم والسمعة في الدنيا.

محاور الموضوع

فيما يبطل الإنفاق

قــال تعالــى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ

عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾[1].

فالمنّة على السائل وأذيته لا ينسجمان مع مفهوم الإنفاق أساساً الذي اعتبر الله تعالى أنّ السائل هبة الله للإنسان وبابه إلى الثواب وسبيله لاكتساب الدرجات وشموله بالمغفرة الإلهيّة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾[2].

قال تعالى: ﴿ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗى ﴾[3].

فضل إنفاق المقتر

والإنفاق ليس حكراً على أهل اليسر والأغنياء، بل فتح الله باب ثوابه للموسرين والمقترين على حدّ سواء، بل حثّ المقتر على الإنفاق واعداً إيّاه بعظيم الأجر، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ثلاث من أتى الله بواحدة منهنّ أوجب الله**

(١) البقرة ٢٦٤.
(٢) البقرة ٢٦٢.
(٣) البقرة ٢٦٣.

له الجنّة: الإنفاق من إقتـار، والبشر لجميع العالم، والإنصاف من نفسه».[1]

وعن رسول الله ﷺ: **«ثلاثة من حقائق الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وإنصافك الناس من نفسك، وبذل العلم للمتعلّم»**[2]

التحذير من كنز المال

فكنز المال بنظر الشرع معصيةٌ يعاقب الله عليها يوم القيامة لأنـه تصرّفٌ في المال فـي غير الوجهة التـي أرادها الله، بل في الوجهة المعاكسـة لإرادة الله، ولذلك استحقّ كانز المال العقاب الأليم، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3].

وعـن رسول الله ﷺ: **«مـن أوكى على ذهب أو فضة، ولم ينفقه في سبيل الله، كان جمراً يوم القيامة يكوى به»**[4].

---

(١) الكافي، ج٢، ص ١٠٣.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٦.
(٣) التوبة ٣٤ ـ ٣٥.
(٤) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٦.

وعنه ﷺ يحذّر من كنز المال خشية الفقر ففي روايةٍ أنّه قال لبلال وعنده صبر من تمر: «**ما هذا يا بلال؟ قال: أعدّ ذلك لأضيافك، قال: أما تخشى أن يكون لك دخان في نار جهنم؟! أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً**»[1].

وفي سيرته الذاتيّة كان ينهى عياله عن إبقاء الطعام من يومٍ لآخر، فعن أنس بن مالك: أهديت للنبيّ ﷺ ثلاث طوائر (طيور)، فأطعم خادمه طائراً، فلمّا كان من الغد أتته بها، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لغد! فإن الله يأتي برزق غد**»[2].

من لا تقبل نفقته

والإنفاق فريضةٌ ينبغي أن تتلازم مع الإيمان بالله ورسوله وأداء الفرائض وسلامة النيّة عند المنفقين لأموالهم فقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٣٥٦.
(٢) م.ن، ج٤، ص٣٣٥٦.

يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

ولا يكون مال الإنفاق إلّا من خير المال وأصفاه حلالاً فلا يقبل الله مالاً جُمع من حرام أو شبهات، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**لو أنّ الناس أخذوا ما أمرهم الله به فأنفقوه فيما نهاهم عنه ما قبله منهم، ولو أخذوا ما نهاهم الله عنه فأنفقوه فيما أمرهم الله به ما قبله منهم، حتّى يأخذوه من حقّ وينفقوه في حقّ**»[2].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[3].

فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾: «**كان القوم قد كسبوا مكاسب سوء في الجاهليّة، فلمّا أسلموا أرادوا أن يخرجوها من أموالهم ليتصدّقوا بها، فأبى الله تبارك وتعالى إلّا أن يخرجوا من أطيب ما كسبوا**»[4].

---

(١) التوبة ٥٣ ـ ٥٤.
(٢) الكافي، ج٤، ص ٢٢.
(٣) البقرة ٢٦٧.
(٤) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٧.

ونفس المعنى نقرأه عن الإمام الباقر عليه السلام لمّا سئل عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾، قال: «**كان الناس حين أسلموا عندهم مكاسب من الربا ومن أموال خبيثة، فكان الرجل يتعمّدها من بين ماله فتصدّق بها، فنهاهم الله عن ذلك، وإنّ الصدقة لا تصلح إلّا من كسب طيّب**»[1].

آثار الإنفاق

١- **ذخيرة يوم القيامة:** قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[2].

٢- **ظلّ يوم القيامة:** فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أرض القيامة نار ما خلا ظلّ المؤمن، فإنّ صدقته تظلّه**»[3].

٣- **مرتبة البرّ:** قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٣٥٧.
(٢) البقرة ٢٥٥.
(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٣٥٠.
(٤) ال عمران ٩٢.

وعــن الإمام الصادق عليه السلام - وقد قيل لــه، وكان يتصدّق بالسكّــر، أتتصدق بالسكّر؟ فقال: «**نعم، إنّه ليس شيء أحبّ إليّ منه، فأنا أحبّ أن أتصدّق بأحبّ الأشياء إليّ**»[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام «**أنه اشترى ثوباً فأعجبه فتصدق به**»[٢].

٤- الأجــر الكبير: قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾[٣].

وعنــه صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أعطى درهماً فــي سبيل الله كتب الله له سبعمائة حسنة**»[٤].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**الصدقة تنمى عند الله**»[٥].

٥- البركــة وقضــاء الدين: فعــن علــيّ عليه السلام: «**إنّ الصدقة تقضي الدين وتخلف بالبركة**»[٦].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٥٥.
(٣) البقرة ٢٧٤.
(٤) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٠.
(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٥٠.
(٦) الكافي، ج٤، ص ٩.

٦- **حسن الخلـف على الولد:** عن الإمـام الصادق عليه السلام: **«ما أحسن عبد الصدقـة إلّا أحسن الله الخلافة على ولده من بعده»**[١]. وعن عليّ عليه السلام: **«إذا قدّمت مالك لآخرتك واستخلفت الله سبحانه على من خلّفته من بعدك، سعدت بما قدمّت، وأحسن الله لك الخلافة على من خلّفت»** [٢].

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٣٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٣٥٤.

المحاضرة الثالثة

حسن التدبير

تصدير الموضوع

عن رسول الله ﷺ: «**قوام العيش حسن التقدير، وملاكه حُسْنُ التدبير**»[1].

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٢١٧.

الهدف:

إيضاح بعض المفاهيم التي تساعد على حسن التدبير وحسن التقدير في الحياة.

المقدّمة

حسن التدبير في الحياة ليس مسألة مزاجيّة أو خاضعة لأفهام الناس وأذواقهم المختلفة، بل هي علم ودراية له قواعده وأحكامه التي تساعد المرء على اتخاذ القرارات الصائبة وتحديد الأولويّات بشكلٍ علميّ والعمل على تطبيقها بشكل دقيق، وهذا ما أشار إليه رسول الله ﷺ مخاطباً بقوله: «**يا ابن مسعود، إذا عملتَ عمَلاً فاعملْ بعلمٍ وعقلٍ، وإيّاكَ وأنْ تعملَ عملاً بغيرِ تدبّرٍ وعلمٍ، فإنّه جلَّ جلالهُ يقولُ: وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً**»[1].

فالتدبير يحتاج إلى أمرين لا يُستغنى عنهما، وهما العلم والتعقّل، وبهما يدرك المرء حقيقة الأشياء ويضع الأمور في مواضعها، وهذا معنى قوله تعالى في حديثه عن الأمثال في القرآن: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[2] يعني هو ضرب للناس أمثالاً وحقيقتها وما فيها من الفوائد بأسرها فلا يدركها إلّا العلماء.

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢١٣٠.
(٢) العنكبوت ٤٣.

محاور الموضوع

أهميّة التدبير

علامة التدين: روي أنّ رجلاً قال للإمام الصادق عليه السلام: بلغني أنّ الاقتصاد والتدبير في المعيشة نصف الكسب! فقال عليه السلام: «**لا، بَل هُو الكسبُ كلُّهُ، ومِن الدِّينِ التَّدبيرُ في المعيشةِ**»[1].

وإذا كان التدبير من الدين فإنّ عدمه مؤشر على عدم سلامة التديّن والالتزام.

كلّ الكمال: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الكَمالُ كُلُّ الكَمالِ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، وَالصَّبرُ عَلَى النّائبَةِ، وَتَقديرُ المعيشةِ**»[2].

فكما أنّ الحياة بلا علم تتضاعف مشاكلها والنائبة ما لم يتحلّ صاحبها بالصبر يتضاعف ثقلها وهمّها فكذلك فإنّ عدم التقدير في المعيشة يُقعد الإنسان ملوماً يقلّب كفّيه أسفاً على ما فرّط وضيّع.

---

(١) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٦٧٠.

(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٧٤٧.

صلاح المؤمن: وقد أكّـد الإمام الصادق عليه السلام على هذه الحقيقـة، بقولـه: «**لا يَصلُحُ المؤمنُ إلّا علـى ثَلاثِ خِصالٍ: التَّفقُّـهِ في الدِّينِ، وحُسنِ التَّقديـرِ في المعيشةِ، والصَّبرِ على النّائبَةِ**»[1].

طرق حسن التدبير

١- **التنظيم والضبط:** ونعني بذلك أن يعتمد المرء التخطيط الواضح للدخل والمصروف بمـا يتناسب إنفاقه مع دخله، والواقـع أنّ ذلك حياة أكثر شعـوب الأرض الذين يعملون فـي وظائـف محـدّدة ويتقاضون رواتـب ثابتـة وعليهم أن يحسنوا تدبير أمورهم بما يتناسب مع مدخولهم.

ولقد علّمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ: «**حسن التقدير مع الكفاف خير من السعي في الإسراف**»[2].

فحسن التقدير يجعل من القليل كثيراً كما أنّ سوء التقدير يجعل من الكثير هباءً ضائعاً.

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٨٧٩.
(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٢٢٨.

ومـن التنظيـم أن يحسن المـرء تنظيم وقته فـي الكسب والعمـل والبيت والأسـرة وعلاقته بالله تعالـى فلا يغرق في جانب دون آخر، كما أنّ التخطيط وحسن الإدارة يوجبان عليه النظر في عواقب الأمور والتمتّع برؤية مستقبليّة غير ضيّقة فإنّ ذلك من علامات أهل الإيمان كما ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**المؤمِنُونَ هُم الَّذينَ عَرَفُوا ما أمامَهُمْ**[1]».

٢- **مراقبـة الأمور المستهلكَة:** وهذا الأمـر يحتاج إلى ثقافة وتعليم لأنّ اليوم تجتاح الأسواق آلاف السلع غير الضروريّة بل وغير المفيدة، وفي بعض الأحيان قد تكون مضرّة وتقدّم للمستهلك بطرق دعائيّة علـى أنّها سلع مفيدة، وهذا الأمر يحتاج إلى مراقبة السلع أوّلاً ونوعيّة هذه السلع والكميّات التي تستهلك من هذه السلع، فعلى سبيل المثال قد تجد اليوم في مجتمعاتنا مـن يشتري هواتف لكافّة أفراد العائلة وكلّهـا مرتبطة بشبكة الأنترنت وتُدفـع المبالغ الطائلة على ذلك، والكلّ يعتبر أنّ هذا مهمّ وضروريّ ولا يمكن العيش

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٥.

دون مواكبة هذا التطـوّر، فيقع في عسر وحرج اقتصاديّين، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ما عال امرؤ في اقتصاد**»[1].

٣- أولويّـات الإنفاق: لا يمكن للمـرء لا سيّما أصحاب الدخل المحـدود أن يحصلوا على كافّة مشتهياتهـم دفعةً واحدة، بل لا بـدّ من وضع جدول يرتّب أولويّـات الأسرة وحاجاتهم وفق الأهـمّ فالأهمّ، مع الأسف نجد اليوم من يراكم كافّة الحاجات فوق رأسه ويقسّطها علـى راتبه بما يستهلك أكثر من نصفه ثم يقعد حيرانَ يحاول أن يتلمّس المساعدة والعون من هنا وهناك.

قـال رسول الله ﷺ: «**حسـن التدبير ينمّـي قليل المال وسوء التدبير يفني كثيره**»[2].

ومـن الأخلاق المهلكة في هـذا الجانب أن ينظر المرء في الأمور الماليّة إلى من فوقه ويحاول أن يقلّدهم ويتشبّه بهم فيما علّمنا أئمّة أهل البيت أن ينظر المرء في الأمور الماليّة إلى من هم تحته، وفي الأمور العلميّة والمعنوية إلى من هم فوقه.

٤- الاعتـدال: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٥٥٧.
(٢) ميزان الحكمة، ج٢، ص ١٣٨٥.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾[1].

فالاعتـدال سياسة الإنفاق، وبكلمةٍ أصحّ فإنّ الإنفاق ليس مرتبطـاً بوجود المـال وعدمه، بل يرتبط بالسلـوك الأخلاقيّ والمستقيـم للإنسـان، فإنّ الشرع حرّم علـى المرء الإسراف والتبذيـر حتّى ولـو كان موسراً، لأنّ ذلك يتحـوّل عنده إلى خُلُق فيفقده السيطرة في غير موارد الإنفاق.

وفـي الصحيفـة السجادية: «**اللهـمَّ صلِّ علـى محمّد وآله واحجبنـي عن السرف والازدياد وقوّمنـي بالبذل والاقتصاد، وعلّمني حسن التقدير، واقبضني بلطفك عن التبذير**»[2].

٥- **الشفافيّـة داخـل الأسرة:** والمـراد هنا أن تكـون موارد الصرف واضحة للجميع وسياسات الصرف مسوَّغة عندهم كذلـك فلا يجد أحد أفراد العائلـة أنّ الأهل يغدقون على أنفسهـم فيما يبخلـون عليه أو تُدفـع المبالغ لأحدهم دون الآخـر، وينفق أحياناً وفق سياسات وأحياناً تخرق القواعد، كما من المفيد فـي هذا الجانب اعتمـاد سياسة المشورة

(١) الفرقان ٦٧.

(٢) الصحيفة السجادية، ص ١٥١.

حتّى يشعر الجميع بمشاركتهم في القرار وإنجاحه، كما من المفيد داخل الثقافة الأسريّة أن تبقى القيم الأسريّة والعامّة هي الحاكمة على الأداء فلا تتحوّل القيم إلى جمعٍ للمال كيفما كان حتّى ولو على حساب القيم الرساليّة، ففي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «**لا يجتمع المال إلّا بخصال خمس: ببخل شديد، وأمل طويل، وحرص غالب، وقطيعة الرحم، وإيثار الدنيا على الآخرة**»[1].

آثار سوء التّدبير

ومن المهمّ الإشارة إلى أنّ حسن التدبير وسوء التدبير لا يقتصر نفع الأوّل وضرر الثاني على حياة الإنسان بشكل فرديّ بل يتعدّى ذلك إلى المجتمع والدولة والأمّة.

ومن أهمّ الآثار السيّئة التي يتركها سوء التدبير في حياة الإنسان: الندم على أفعاله وما ضيّعه وابتلائه بالفقر والعوز وضعف الإيمان والارتباط بالله تعالى والشعور بالنقص والتبعية للآخرين واستجداء المال بالطرق الملتوية، إلى غير ذلك ممّا لا يعدّ ولا يحصى.

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص٢٨٢.

الباب الرابع

بركات إكرام اليتيم

- كفالة اليتيم
- أشكال رعاية الأيتام

المحاضرة الأولى

كفالة اليتيم

تصدير الموضوع:

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾[1].

(١) البقرة، ١٧٧.

الهدف:

بيان بعض المفاهيم المتعلّقة بتكريم اليتيم وكفالته وخطورة التعرّض لماله.

المقدّمة

حثّـت الشريعة على ضرورة رعاية الأيتـام والتحنّن عليهم كمؤشّر علـى سلامة المجتمع وتكاتفـه وتعاضده، فالمجتمع الـذي لا يكـرّم أيتامه مجتمع مفـكّك، وهذا أميـر المؤمنين يوصـي بالأيتـام حتّى لحظة وفاته، فعنـه عليه السلام – في وصيته قبـل الموت –: الله الله فـي الأيتام، فلا تغبّـوا أفواههم، ولا يضيعـوا بحضرتكـم، فقد سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**من عال يتيماً حتّـى يستغني أوجب الله عزَّ وجلَّ له بذلك الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار**»[1].

محاور الموضوع

الأنبياء والأولياء متكفّلو الأيتام

قال تعالـى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾. ولا يخفى أنّ كفالة نبيّ الله زكريا عليه السلام لمريم لم تكن كفالة ماديّة بل معنويّة وسياسيّة.

قـال تعالى في مدحه للبيـت العلويّ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى

(١) الكافي، ج٧، ص ٥١.

حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾[1].

التكفّل ثقافة عامّة

قال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾[2].

وقوله (ويطعمون) يفيد أنّ هذه الآية تعلّمنا أنّ إطعام اليتيم ليس فعلاً فرديّاً وإنّما عمل عامّ ينبغي أن يتحوّل إلى ثقافة الأسر والعائلات، فالقرآن الكريم لم يمتدح فرداً معيّناً في الآية وإنّما مدح كافّة أفراد هذا البيت الذين كانوا يحملون هذه الثقافة.

ولذلك أشارت الأحاديث المرويّة عن رسول الله ﷺ إلى التركيز على كونها ثقافة بيوت وليست ثقافة أفراد فقط، أي تربية عوائلنا على هذه الثقافة الإلهيّة.

قال رسول الله ﷺ: «**خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشرّ بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء**

(١) الإنسان ٨ـ ٩.
(٢) الإنسان ٨ـ ٩.

إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنّة هكذا»[1].

وعنه ﷺ: «خير بيوتكم بيت فيه يتيم مُكرّم»[2].

ضوابط التكفّل ومعاييرُه

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[3].

هذه الآية التي وردت في قصّة موسى والخضر إشارة واضحة إلى بناء الخضر لجدار اليتيمين دون أن يتّخذ عليه أجراً كما أشار عليه موسى عليه السلام.

والآية تعلّمنا عدّة أمور:

١- أنّ الله هو الذي أمرنا برعاية الأيتام وتكفّلهم لقوله تعالى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[4]. وبالتالي فإنّ رعايتهم قبل كلّ شيء واجبٌ إلهيٌّ وتكليفٌ شرعيٌّ لا يجوز تجاهله أو تناسيه.

---

(١) مشكاة الأنوار، ص ٢٩٢.
(٢) كنز العمال، ج٣، ص ١٦٨.
(٣) الكهف ٨٢.
(٤) الكهف ٨٢.

٢- أنّ هـذه الرعاية ينبغي أن تستمـرّ حتّى يبلغ اليتيم أشدّه أي يصبح بالغاً راشداً، أي حتّى يستغني ويصبح قادراً على إعالة نفسه. وهذا المعنى أوردته الآية كذلك على أنّه إرادة إلهيّة لقوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾[١].

وقـال تعالـى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[٢].

٣- أنّ الرعاية ينبغي أن تشمل المحافظة على أموال اليتامى، فقـد سوَّغ الخضر عليه السلام فعله بقـول الله تعالى ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾[٣]، فـإنّ الإستهتار بمال اليتيم والتفريط به لا يقلّ سوءاً عن أكل مال اليتيم.

٤- أنّ هذه الرعاية ينبغي أن تكون مجانيّة فقد أبى الخضر أن يتخذ أجراً على عمله حتّى بعد أن أشار عليه موسى عليه السلام بذلـك. وقد سـوَّغ نبيّ الله الخضر عليه السلام هـذا الأمر بقوله ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[٤] وفـي ذلك إشارة إلى أنّ معاملة الأيتام

(١) الكهف ٨٢.
(٢) الأنعام ١٥٢.
(٣) الكهف ٨٢.
(٤) الكهف ٨٢.

ينبغـي أن تكون قائمة علـى الرحمة لا بدل ولا عوض فيها يطلبه الإنسان وإنّمـا يتوسّم الأجر والثواب وعلوّ الدرجات يوم القيامة.

وهذا المعنى نراه كذلك فـي آية ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ... لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ ﴾[1] والمعنى أنّ كافل اليتيم لا ينتظر جزاءً أو بدلاً على عمله، بل إنّه لا ينتظر ولا يريد حتّى كلمة شكر على ذلك.

٥- أنّ رعايـة الأيتام ضروريّة حتّى ولو كانوا يملكون كفايتهم الماديّة، فالآيـة تشير إلى أنّ هذيـن اليتيمين كانا يملكان كنـزاً لقولـه ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾[2]، ومع ذلك لم يتّخذ نبـيّ الله الخضر منهما أجـراً على عمله مع أن الفعل الذي قام بـه نبي الله الخضر فعلٌ ماديٌّ وهو إقامة الجدار، وذلك لأنّ الرعايـة التي يستحقّها اليتيم ليست دائماً رعاية ماديّة، بل هناك رعاية معنويّة ونفسيّة واجتماعيّة وسوى ذلك، ومن الواجب ألّا نقصّر فيها.

(١) الإنسان ٨ـ ٩.
(٢) الكهف ٨٢.

٦- ولعلّ هذه الآية أكثر دلالةً على اليتيم الذي كان أبوه صالحاً والذي يأتي بلا شكّ الشهيد على رأس هذه القائمة كونه مثال الصلاح ورمز الإصلاح، وبالتالي فإنّ هذه الآية أكثر مطابقةً لأبناء الشهداء.

أكل مال اليتيم

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾[1].

ولا يخفى أنّ أكل مال اليتيم لا يعني انتزاع حقّه من يده وسلبه إيّاه كما قد يتوهّم البعض، بل يصدق كذلك على عدم إعطائه حقّه الذي افترضه الله له ومنعه منه، فكلاهما أكلٌ لمال اليتيم.

١- **من الكبائر:** أي من الذنوب التي توعّد الله صاحبها بالخلود في النار. فعن الإمام الصادق عليه السلام - لمّا سئل عن الكبائر - قال: «**منها أكل مال اليتيم ظلماً**»[2].

٢- **النار في الدنيا:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ

(١) الضحى ٩.

(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٣٧٠٩.

﴿ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾[1].

والآية واضحة أنّهم يأكلون في بطونهم ناراً في الدنيا قبل أن يصلوا السعير في الآخرة.

وعن رسول الله ﷺ: «**شرّ المآكل أكل مال اليتيم ظلماً**»[2].

٣- شدّة العذاب في الآخرة: والآخرة هنا تشمل عذاب البرزخ وعذاب الجحيم كما في تفسير الآية.

وأمّا عذاب يوم القيامة فعن رسول الله ﷺ: «**يبعث ناس عن قبورهم يوم القيامة تأجّج أفواههم ناراً**»، فقيل له: يا رسول الله من هؤلاء ؟ قال: «**الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً**»[3].

وأمّا عذاب البرزخ فعنه ﷺ - في حديث المعراج -: «**نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكّل بهم من يأخذ بمشافرهم ثمّ يجعل في أفواههم صخراً من نار، فتُقذف في أحدهم حتّى تخرج من أسافلهم ولهم خوار وصراخ، فقلت: يا**

---

(١) النساء، ١٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٧٧.

(٣) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص ١٩١.

جبرئيل مــن هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بطونهم ناراً»[1].

وفــي الروايــات أنّ رســول الله ﷺ يقف يــوم القيامة في مواجهة آكلي مال اليتيم في إشارة إلى أنّ التعدّي على اليتيم إنّمــا هو تعدٍّ عليه، فقد ورد عنــه ﷺ: «**أنا خصيم يوم القيامة عن اليتيم والمعاهد، ومن أخاصمه أخصمه**»[2].

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص٣٧٠٩.

(٢) كنز العمال، ج٣، ص١٧٧.

المحاضرة الثانية

أشكال رعاية الأيتام

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ...﴾[1].

(١) البقرة، ٨٣.

الهدف:

الإلفات إلى مختلف أشكال رعاية الأيتام وأخطار أكل مال اليتيم.

المقدّمة

ورعايــة اليتيم لا تقتصر على إيوائــه أو إطعامه وسوى ذلك من التقديمات الماديّة، بل تتعدّى ذلك إلى رعايته رعاية أبويّة لها بُعدها المعنويّ والروحيّ وتعوِّضه من فقدان أبيه.

وشدّد الإسلام على تكريم اليتيم حتّى إنّه ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّــي أحرج عليكم حقّ الضعيفين من اليتيم والمرأة**»[1].

ومعنــى ذلك أنّــه ينبغي الحرص على تكريمــه حتّى ولو سبب ذلك حرجاً وضيقاً على المتكفّل، واعتبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّ ذلك حقّ له، ولا يخفى أنّ كونه حقّاً له معنى ذلك أنه واجب علينا.

محاور الموضوع

بيّنت النصوص الشريفة بعضــ أشكال رعاية اليتيم، وهي إذ سلّطــت الضوء على هذه الجوانب فإنّ ذلك لا يعني إغفال الجوانــب الأخــرى، وفي هــذا المجال يمكــن الوقوف على أشكالٍ عدّة منها:

(١) كنز العمال، ج٢، ص ١٧٩.

١- **الرعاية السكنيّة:** قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «**من آوى يتيماً أو يتيمين ثمّ صبر واحتسب كنت أنا وهو في الجنة كهاتين**»[١].

٢- **الرعاية الاجتماعيّة:** قال رسول الله ﷺ: «**من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو في الجنّة كهاتين**»[٢]. ولا يخفى أنّ الإحسان ناظر إلى الأمور الكماليّة في الحياة أكثر منه إلى الأمور الأساسيّة والضروريّة.

٣- **الرعاية الماديّة:** وقال تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾.

أي سدّ مختلف حاجاته الماديّة، إلّا أنّ هذه الرعاية لا تتمحور حول رفع الفقر والعوز، وإنّما تتمحور حول عنوان الغنى.

قال رسول الله ﷺ: «**من ضمَّ يتيماً له أو لغيره حتّى يغنيه الله عنه وجبت له الجنّة**»[٣].

---

(١) كنز العمال، ج٣، ص١٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص١٦٨.

(٣) م.ن، ج٣، ص١٦٩.

٤- الرعايـة المعنويّة: عن لقمـان الحكيم عليه السلام في وصيته لولـده: «**يا بنيّ كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنّك تزرع كذلك تحصد**»(١).

وقال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**والذي نفسي بيـده لا يلي مسلم يتيمـاً فيحسـن ولايته ويضع يـده على رأسـه إلّا رفعه الله عزَّ وجـلَّ بكلّ شعـرة درجة، وكتب له بكل شعـرة حسنة، ومحا عنه بكلّ شعرة سيّئة**»(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أدن اليتيم منك، وألطفه، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك فإنّ ذلك ليليّن قلبك، وتدرك حاجتك**»(٣).

٥- رعاية المأكل والمشرب: قـال تعالى: «**ويطعمون الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**» وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما أكل يتيم مع قوم فـي صحفتهم أو قصعة فيقرب صحفتهم الشيطان**»(٤).

---

(١) الإختصاص، ص٣٣٧.
(٢) كنز العمال، ج٣، ص ١٧٦.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ١٦٩.
(٤) م.ن، ج٣، ص ١٧٧.

قال رسول الله ﷺ: «**ما من مائدة أعظم بركة من مائدة جلس عليها يتيم**»[1].

ومن هنا وبالنظر إلى هذه الأشكال المختلفة لرعاية الأيتام والتي يعجز عنها الجهد الفرديّ كان لا بدّ من النظر بجديّة كبيرة إلى ضرورة إنشاء ودعم دور رعاية الأيتام تنهض بواجبٍ من أهمّ الواجبات الإلهيّة، والتي تجعل مجتمعنا مجتمعاً قويّاً متماسكاً أمام التحدّيات والصعوبات التي يكيدها له أعداء الله.

بركات إكرام اليتيم

إنزال الرزق واستجابة الدعاء: ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾[2].

وفي الآية دلالة على أن التكفّل موجب لدرّ الرزق على الإنسان الذي نتكفّله، وأكثر من ذلك فإنّ التكفّل موجب

(١) م.ن، ج٣، ص ١٧٧.
(٢) آل عمران ٣٧ ـ ٣٨.

لاستجابة الدعاء، فإن الله استجاب دعاء زكريا حال كونه متكفّلاً لمريم، فإنّما طلب زكريّا حين رأى مريم على حالها أن يرزقه الله تعالى مثل مريم لما رأى من منزلتها عند الله، فرغب إلى الله في مثلها، وطلب إلى الله عزَّ وجلَّ أن يهب له ذريّة طيّبة مثل مريم، فأعطاه الله تعالى أفضل ممّا سأل.

١- عظيم الحسنات: عن الإمام عليّ عليه السلام: «**مامن مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحمّاً له إلّا كتب الله له بكلّ شعرة مرت يده عليها حسنة**»[١].

ومن الواضح أنّ الحديث لاحظ أبسط حالات التكريم أي مسح رأس اليتيم، ولعلّ الحديث ناظر إلى الناحية المعنويّة في التعامل مع اليتيم في حال عدم استطاعة تكريمه بالأمور الماديّة، فكيف بحالات التكريم الأعلى فالأعلى؟

٢- جوار رسول الله في الجنّة: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عزَّ وجلَّ - وأشار بالسبابة والوسطى**»[٢]

(١) جواهر الكلام، ج٤، ص٣٣٠.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص٣٧٠٨.

وعنه ﷺ: «**من عال ثلاثة من الأيتام كان كمن قام ليله، وصام نهاره، وغدا وراح شاهراً سيفه في سبيل الله، وكنت أنا وهو في الجنّة أخوين كما أنّ هاتين أختان - وألصق إصبعيه السبابة والوسطى**»[1].

وعنه ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم له أو لغيره في الجنّة، والساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله**»[2].

فجزاء إعالة اليتيم ليس دخول الجنة فحسب بل جزاؤه علوّ المقام ورفيع الدرجات وأجر المجاهدين وجوار الأنبياء في دار الخلود، وهنا إشارة مهمّة وهي أنّ هناك الكثير من الروايات التي وعدت أصحاب الأعمال الصالحة ببعض الحسنات أو الدرجات أو سوى ذلك، وأمّا أن تَعِدَ النصوص المقدّسة على فعلٍ ما بالجنّة دون تردّد فإنّ ذلك كاشف عمّا لهذا الفعل من أثر كبير في مسح السيّئات وتكفيرها والعفو عنها.

ويؤكد ذلك قوله ﷺ: «**من قبض يتيماً من بين مسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنّة البتّة، إلّا أن يعمل ذنباً لا**

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٧٠٨.
(٢) كنز العمال، ج٣، ص١٦٨.

يغفر». وكأنّ في ذلك إشـارة إلى أنّ هناك الكثير من الذنوب التي يغفرها تكفّل اليتيم ورعايته.

٣- تخصيصهم بدار لهم: عنه ﷺ: «**إنّ في الجنّة داراً يقال لها: دار الفرح لا يدخلها إلّا من فرّح يتامى المؤمنين**»[١].

ولعلّ تسمية الدار بدار الفرح تبشّر من فرّح الأيتام بما أعدّ الله لهم من أمورٍ تدخل الفرح والسرور إلى أنفسهم جزاء لهم.

٤- لين القلب: أي بقاؤه خاشعاً خاضعاً لله تعالى. عن رسول الله ﷺ- لرجل يشكو قسوة قلبه -: «**أتحبّ أن يلين قلبك، وتـدرك حاجتك؟ إرحم اليتيم وامسـح رأسه، وأطعمه من طعامك، يلن قلبك وتدرك حاجتك**»[٢].

وهنـا إشارة غاية في الأهميّة وهي أنّ الشريعة الإسلاميّة لم تقـدّم كفالة اليتيم على أنّها رفـع لحاجة اليتيم بل رفع لحاجة المتكفّل كذلك، وتحفيز له لإصلاح نفسه والعروج في مسيرة الصلاح من خلال تكريم اليتيم والتعامل معه برحمة.

---

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص٢٧٠٨.

(٢) كنز العمال، ج٣، ص ١٦٩.

٥- **حقيقة البرّ:** قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾[1].

ولا يخفى أنّ الآية أرادت أن تبيّن أنّ حقيقة البّر ليست في الجانب الشكليّ للعبادة، بل بما تتركه هذه الآية من أثر سامٍ على الجانب الإعتقاديّ والسلوكيّ في حياة الإنسان.

٦- **تجاوز عقبات يوم القيامة:** قال تعالى: «**فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فكّ رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة**».

ومن المفيد في ثقافتنا الدينيّة أن نربط بين إطعام اليتيم في الدنيا وتجاوز عقبات يوم القيامة وأهواله ومخاطره التي ليس فينا من لا يحتاج إلى عناية خاصّة لتخطيها وتجاوزها.

(١) البقرة ١٧٨.

الباب الخامس

فضل الجهاد والشهادة في سبيل اللّه

- فضل الجهاد
- مقام المجاهدين
- حقوق المجاهدين
- ثواب المجاهدين
- مقام الشهادة (١)
- مقام الشهادة (٢)

المحاضرة الأولى

فضل الجهاد

تصدير الموضوع:

عن الإمام علي عليه السلام: «**إن الله فرض الجهاد وعظّمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به**»[1].

(١) الكافي، ج٥، ص٨.

الهدف:

الإضاءة على مكانة فريضة الجهاد في الإسلام من خلال النصوص والروايات المأثورة.

المقدّمة

أعـزّ الله دينه بباب من أبواب الجنة ليبقى هذا الدين عزيزاً في وجـه أعدائه له منعته وقوّته وقدرته التـي يرهب بها أعداء الله ويمنعهـم من تحقيـق مآربهم، أو أن يصلـوا للنيل من أيّ ساحةٍ من ساحاته، فالجهاد ليـس مشروعاً للقتل والعنف في الإسلام، كمـا أنّه ليس هدفاً يُتوخّى منـه التشفّي أو الإنتقام من الخصوم بل هو مشروع لبسط لواء الدين ونشر راية العدل وإقامـة حكم الله الـذي ارتضاه الله لعبـاده والوقوف في وجه المشاريع الأخـرى التي لا تخدم عموم الناس، وإنّما تخدم أشخاصاً أو فئات أو جماعات على حساب الدين والرسالة.

محاور الموضوع

قال تعالـى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾[2].

(١) التوبة ٧٣.
(٢) التوبة ١٢.

لا يخفى ما لفريضة الجهاد من دورٍ بارزٍ في إقامة صرح الإسلام، ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم بالدعوة إليه والتأكيد عليه والغلظة على الكفّار والمنافقين في الدنيا فضلاً عن عقاب الآخرة لهم، وهذا الإمام عليّ عليه السلام يكتب إلى عامله مخنف -: «**فإنّ جهاد من صدف عن الحقّ رغبة عنه، وعبّ في نعاس العمى والضلال اختياراً له، فريضة على العارفين**»[1].

وعنه عليه السلام: «**إنّ الجهاد أشرف الأعمال بعد الإسلام، وهو قوام الدين، والأجر فيه عظيم مع العزّة والمنعة، وهو الكرّة، فيه الحسنات والبشرى بالجنّة بعد الشهادة**»[2].

حبّ الجهاد

والعلاقة بالجهاد كالعلاقة بأيّ عبادة ينبغي أن ترتقي من مرتبة أداء التكليف إلى مرتبة الحبّ والعشق، فعن عليّ عليه السلام: «**من رائح إلى الله كالظمآن يرد الماء؟! الجنّة تحت أطراف العوالي، اليوم تبلى الأخبار، والله لأنا أشوق إلى لقائهم**

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٤.

منهـم إلى ديارهم» [1]. فإنّ الذي يقاتل على غير هدى فيكون أكبر شوقه في المعركة هو الرجوع إلى بيته، أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فيقول: إنّه أشوق إلـى جهادهم والقتال في سبيل الله منهم إلى ديارهم.

كيف لا وقد أفادت الروايـات أنّ الجهاد زكاة البدن وزكاة الشجاعـة وسياحة الأمّـة، وأنّ خطواته أحـبّ الخطوات إلى الله، كمـا جاء في الحديث الشريـف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما مـن خطوة أحبّ إلى الله من خطوتيـن: خطوة يسدّ بها مؤمن صفًّـا في سبيل الله، وخطوة يخطوها مؤمن إلى ذي رحم قاطع يصلها**»[2].

التحريض على الجهاد

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾[3].

وقال تعالـى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا

(١) م.ن ج١، ص٥٦٧.
(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٤.
(٣) الأنفال ٦٥.

مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[1].

ولأنّ القتال يستلزم القتل والجراح والدمار والكثير من المعاناة فقد يتسلّل الوهن والضعف إلى نفوس البعض، فجاءت الآيات والروايات لتحثّهم وتؤكّد أنّ هذا الخيار هو خيار الحياة، وأنّ الحياة من دونه هي الموت بعينه، فهذا الإمام عليّ عليه السلام يقول: وهو يحرّض على القتال في صفين: «**لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم! تُكادون ولا تكيدون، وتُنتقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا يُنام عنكم وأنتم في غفلة ساهون... والله إنّ امرأ يمكّن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت، فأمّا أنا فوالله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح السواعد والأقدام، ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء**»[2].

وعنه عليه السلام – «**في مقاتلة صفين لما غلب أصحاب معاوية على الفرات –: قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلّة**

---

(١) النساء ٧٥.

(٢) نهج البلاغة، ج١، ص ٨٣.

وتأخيـر محلّـة، أو رووا السيـوف من الدماء تـرووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين»[1].

وعنـه عليه السلام – بعد مقتـل محمّد بن أبي بكـر – يحرّض أصحابه علـى القتال لأمر الولاية وأن ما هـم عليه من الطاعة والعبادة لله لا يُسقط عنهم الأمر بالجهاد فيقول: «**فيكم العلماء والفقهـاء والنجباء والحكمـاء وحملة الكتـاب والمتهجّدون بالأسحـار وعمّـار المساجـد بتلاوة القـرآن، أفـلا تسخطون وتهتمّـون أن ينازعكـم الولايـة عليكـم سفهاؤكـم والأشرار الأراذل منكم**»؟[2].

ترك الجهاد

وكما أشارت النصوص إلى فضل الجهاد أشارت إلى رذيلة تركه كي لا يتوهمنّ أحد أنّ فضل وجوبه لا يستلزم السوء في تركه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً في نفسـه، وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إنّ الله تبارك وتعالى**

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص٤٤٨.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٤٨.

أعزّ أمّتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»[1].

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «**فمن تركه - يعني الجهاد - رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء، ودُيِّث بالصَّغار والقماءة، وضُرب على قلبه بالإسهاب (بالأسداد)، وأُديل الحقّ منه بتضييع الجهاد شعب الجهاد**»[2].

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة**[3]». أي نقص في دينه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مات ولم يغز، ولم يحدّث به نفسه، مات على شعبة من نفاق**[4]**؛ لأنّ عدم جهاده يستبطن شيئاً من الرضا أو الموافقة لأعداء الدين**».

---

(١) الكافي، ج٥، ص ٢.
(٢) نهج البلاغة، ج١، ص ٦٨.
(٣) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٤.
(٤) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٤

المحاضرة الثانية

مقام المجاهدين(١)

تصدير الموضوع:

عن رسول الله ﷺ: «**خير الناس رجل حَبَسَ نفسَه في سبيل الله يجاهد أعداءه يلتمس الموت أو القتل في مصافّه**»[١].

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٥.

الهدف:

بيان المقام الروحيّ والمعنويّ الذي خصّ به الإسلام أهل الجهاد في سبيله وضرورة إعانتهم وذمّ إيذائهم.

المقدّمة

الحديث عن أهل الجهاد وصفاتهم ومقامهم هو كالحديث عن أولياء الله، بل عن خاصّة أوليائه، كما وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام، هؤلاء الذين عزفوا عن كلّ لذائذ الدنيا ومشتهياتها وخلّفوا وراء ظهورهم ما يلهث خلفه الكثيرون ويحيا من أجله، ووجدوا أنسهم وسعادتهم في ساحات المواجهة لأنّها الساحات الأقرب إلى الله وإلى رضوانه، فرشفوا من كأس كربلاء ما جعلهم لا يرون لأنفسهم وجوداً إلّا بمقدار تضحياتها وبذلها وإزهاقها في الحبّ الإلهيّ والعشق الأبديّ حيث لا يجرؤ العقل على الولوج إلى هذا العالم ليصف ما يشعرون به، فلا يمكن لأحد أن يصف شعورهم إلّا من يشاركهم هذه اللذّة وهذه الكرامة الإلهيّة.

محاور الموضوع

فضل أعمال المجاهدين

وعمل المجاهد لا يساويه أي عمل آخر لأنّ المجاهد وحده

الذي يوفّر للأمــة ظروف العبادة وعمل الخير ولذلك ورد عن رســول الله ﷺ: «**ما أعمال العبــاد كلّهم عند المجاهدين في سبيل الله إلّا كمثل خطاف أخذ بمنقاره من ماء البحر**»[1].

فمثــل عمــل المجاهد كمثــل نــور الشمس التــي يغفل الكثيــرون عن أنّهــم لا يستطيعون القيام بــأيّ عمل من دونه، وعمــل المجاهد هو الذي يوفّــر لكافّة شرائــح الأمّة الظروف الكريمة التي يحيون بها ويتنعمّون بظلالها.

وحتّــى إنّ الله يفتخر به ويباهي به الملائكة كما عبّر رسول الله ﷺ بقولــه: «**إنّ الله عــزَّ وجــلَّ يباهي بالمتقلّــد سيفه في سبيل الله ملائكته، وهم يصلّون عليه ما دام متقلّده**»[2].

وصــلاة الملائكة هــي صلاة الرحمــة والاستغفار ولذلك كانت عبادته وصلاته لها أجرها المضاعف، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل متقلداً بسيفه تفضل على صلاته غير متقلّد بسبعمائة ضعف**»[3].

---

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٨.
(٣) م.ن، ج١، ص ٤٤٨.

وكلّ الأعمال تنقطع عن صاحبها إلّا الجهاد، فعن رسول الله ﷺ: «**كلّ عمل منقطع عن صاحبه إذا مات إلّا المرابط في سبيل الله، فإنّه ينمى له عمله ويجرى عليه رزقه إلى يوم القيامة**»[1].

في حديثٍ لأمير المؤمنين عليه السلام يصف فيه المجاهدين الذين شاركوا في حرب الجمل ويبين المقام الشامخ الذي يحظون به فيقول عليه السلام: «**أنتم الأنصار على الحقّ، والإخوان على الدين والجُنن يوم البأس، والبطانة دون الناس، بكم أضرب المدبر، وأرجو طاعة المقبل، فأعينوني بمناصحةٍ خليّةٍ من الغشّ، سليمةٍ من الريب، فوالله إنّي لأولى الناس بالناس**»[2].

وفي هذا النصّ يرفع أمير المؤمنين عليه السلام من مقام المجاهدين من خلال وصفهم بسبع خصال هي:

١- أنتم الأنصار على الحقّ: فهم يحملون الحقّ قضيةً في حياتهم ينصرونه ويعزّزونه، فحياتهم رسالة بحدّ ذاتها في الدعوة إلى الحقّ والذود عنه، وبهذا المعنى ورد قوله تعالى

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٩.
(٢) نهج البلاغة، ج١، ص ٢٣٤.

على لسان نبيّ الله عيسى ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢﴾[1].

٢- والإخوان على الدين: فما يربطهم بأمير المؤمنين أخوّة الإيمان والعقيدة، لا علاقة المصالح والمنافع المشتركة التي تربط أعداء الأمّة بعضهم ببعض، ووحدها هذه العلاقة التي تستمرّ يوم القيامة فيما تتبدّد سائر أنواع العلاقات التي كان الناس يتمسّكون بها في الحياة الدنيا.

٣- الجُنن يوم البأس: فالمجاهدون هم الذين يقون الأمّة بأس الأعداء ويدرأون عنها شرّهم، فهم أشبه بالصخرة التي تتحطّم عليها أحلام المجرمين الذين يريدون النيل من الأمّة، فكأنّهم يفدون الأمّة بما أُريد لها من شرٍّ فيحملونه بأنفسهم ويدرأونه عنها.

٤- البطانة دون الناس: أي خواصّه الذين يأنس بهم ويستشيرهم ويُسرّ إليهم، وبابه إلى الأمور لما أكرمهم الله تعالى بخاصيّة الجهاد فرفعهم دون غيرهم من الناس، فالجهاد هو الذي

(١) آل عمران، ٥٢.

صفّى نفوسهم وطهّر سرائرهم وأبدع أفكارهم فجعلهم أرقى من غيرهم شأناً ومنزلةً، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥- **بكم أضرب المدبر:** أي كأنّهم ساعده ويمينه التي يقاتل بها أعداء الدين والمنحرفين عن جادّة الإيمان فيجتثّ بهم رؤوس الفساد ويقتلعها بسواعدهم، وأيّ كرامةٍ بعد أن يكون المؤمن يد الإمام المعصوم التي يحارب بها أعداء الشريعة؟

٦- **أرجو طاعة المقبل:** لأنّهم بجهادهم أضحوا قدوةً للآخرين يتأسّون بهم ويقتدون بأعمالهم، فباتوا ممّن يُرجى طاعة الآخرين وانضمامهم إلى طائفة الحقّ، فكما أن العلم والتقوى والعمل الصالح أبواب إلى الله فإنّ المجاهد بجهاده وتضحياته يصبح دليلاً للناس يقبلون به إلى رحاب الإسلام.

٧- **فأعينوني بمناصحةٍ خليّةٍ من الغشّ، سليمةٍ من الريب:** وأخيراً يعطيهم أمير المؤمنين عليه السلام لياقة ومكانة وأهليّة من يقدّم له النصيحة والعون، فهم أهل للنصيحة الخالية من

الغشّ والريب، وهُم ليسوا كسواهم ممّن يقدّمون النصيحة ويستبطنون المنفعة لهم، أو يساهمون برأي ويضمرون السوء من ورائه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾[1].

(١) المائدة ٥٤.

المحاضرة الثالثة

حقوق المجاهدين

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[1].

(١) آل عمران، ١٧٣.

الهدف:

بيان الحقوق التي ينبغي للأمّة تأديتها للمجاهدين وبيان ثوابها وذمّ الشريعة لمن يبادلهم الأذى.

المقدّمة

ولعلّ المجاهد من أكثر الناس حقاً على الأمة بل لعلّ النصوص تشير إلى أنّ المجاهد لا يتقدّم عليه في الحقّ أحدٌ إلّا وليّ الأمر، وحقوقه من أكثر الحقوق تقديساً في الشريعة وأكثرها ثواباً وأجراً، فالجهاد بالنفس قد لا يتسنى للجميع لكن يمكن للجميع أن يشارك المجاهدين بإعانتهم بكلّ ما يفيدهم في قتالهم، فمن المهمّ أن يشعر المجاهد بأنه ينتمي إلى مجتمعٍ مقاوم يقف خلفه في مواجهته للأعداء، ولهذه الإعانة الفضل الكبير والجزاء الحسن.

محاور الموضوع

حقوق المجاهدين

ويمكن الوقوف من خلال النصوص على جملة من الأمور التي يمكن إعانة المجاهدين بها، والتي تعتبر حقّاً من حقوقهم:

١-التجهيز: وذلك بمدّ المجاهدين بكلّ ما يساعدهم في

تحقيـق أهدافهم وانتصاراتهم، فعـن رسول الله ﷺ: «**من جهّـز غازياً بسلـك أو إبرة غفر الله له ما تقـدّم من ذنبه وما تأخّر**»[1].

ولـم يستثنِ أمير المؤمنين حتّى أصحاب القلوب الضعيفة من الجهـاد فقال عليه السلام: «**الجبـان لا يحلّ لـه أن يغزو، لأنّ الجبان ينهزم سريعاً، ولكن ينظر ما كان يريد أن يغزو به فليجهّز بـه غيره، فإنّ له مثل أجره فـي كلّ شيء ولا ينقص من أجره شيئاً**»[2].

٢- الإعانـة بالمـال: ويفصّل الإمام علـيّ عليه السلام هذا الأجر بقوله لمّا سئل عـن النفقة في الجهاد إذا لزم أو استحبّ: «**أمّـا إذا لزم الجهاد بأن لا يكون بـإزاء الكافرين من ينوب عن سائر المسلمين فالنفقة هنـاك الدرهم بسبعمائة ألف، فأمّـا المستحبّ الذي هو قصد الرجـل وقد ناب عليه من سبعة واستغنى عنه فالدرهـم بسبعمائة حسنة، كلّ حسنة**

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص٤٤٦.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٤٤٦.

خير من الدنيا وما فيها مائة ألف مرة»[1].

٣- عدم إذاعة أسرار المجاهدين: قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾[2].

فإنّ نشر الإشاعات وإذاعة الخوف بين الناس يجعل من مجتمع المقاومة مجتمعاً أقلّ تماسكاً وبالتالي أقلّ حمايةً لأهل الجهاد الذين يرابطون على الثغور حفظاً لرسالة الإسلام وصوناً لكرامة الأمّة.

ويُستفاد من الآية ضرورة التنظيم والرجوع إلى أُولي الأمر وعدم الإجتهاد في الأمور الجهاديّة، بل ضرورة التقيّد بما يصدر عن وليّ الأمر وإرجاع الناس إليه كونه حجة الله في أرضه، كما عبّر الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾[3].

---

(١) م.ن، ج١، ص٤٤٦.
(٢) النساء ٨٣.
(٣) الصف، ٤.

٤- إشاعة الروح المعنويّة العالية: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾[1].

وذلك لأنّ تثبيط عزائم المجاهدين تضعف روحيّة المجاهد كالحديث عن قدرة العدوّ وعدّته وتفوّقه وانتصاراته المتكرّرة وعدم إمكانيّة النصر عليه والموت بلا طائل وغيرها من الأحاديث التي راجت في مجتمعاتنا مع بدايات الجهاد ضدّ العدوّ الإسرائيليّ، والتي أثبتت التجربة أنّها مجرّد أوهام وأنّ من يتوكّل على الله فإن الله حسبه وهو يدافع عنه وأنّ الله ينصر من ينصره.

٥- إيصال رسائله: والرسالة هنا قد تكون شخصيّة وقد تكون رسالة الجهاد التي يحملها المجاهد ويقاتل من أجلها، وبالتالي فالمطلوب أن يحمل مجتمع المقاومة رسالة الجهاد التي من أجلها يقدّم المجاهد دمه وروحه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من بلّغ رسالة غاز كمن أعتق رقبة، وهو شريكه في باب غزوته**»[2].

(١) آل عمران، ١٧٣.
(٢) الكافي، ج٥، ص٨.

٦- الدعاء لهم: ونذكر هنا مقطعاً من الدعاء المعروف بدعاء أهل الثغور والمرويّ عن الإمام السجّاد عليه السلام الذي يقول فيه: «**اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وكثّر عددهم،واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألّف جمعهم ودبّر أمرهم، وواتر بين ميرهم، وتوحّد بكفاية مؤنهم، واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطف لهم في المكر) إلى أن يقول - بعد أن يدعو على الكافرين -: (اللهمّ وقوِّ - بذلك محالّ أهل الإسلام، وحصّن به ديارهم، وثمرّ به أموالهم، وفرّغهم عن محاربتهم لعبادتك، وعن منابذتهم للخلوة بك، حتى لا يُعبد في بقاع الأرض غيرك، ولا تُعفّر لأحد منهم جبهة دونك**»[1].

٧- مواساة عوائل الشهداء والعناية بهم: وهذا أقلّ ما يمكن تقديمه للمجاهدين الذين يرابطون على الثغور تاركين عوائلهم وفلذات أكبادهم، فمن الضروريّ أن يحمي مجتمع المقاومة هذه العوائل ويقدّم لها كلّ ما تحتاج إليه من الأمور المعيشيّة والعلميّة والتربويّة وغير ذلك.

(١) عقائد الإمامية، ص١١٧ .

٨- تحمّل أعباء الجهاد: فالجهاد من الفرائض التي تترك آثاراً كثيرة على المجتمع كالقتل والجرحى والأسرى وإعاقة بعض المجاهدين فضلاً عن التشريد وبعض الأعباء المادية كالخراب والدمار وتلف المحاصيل والمزروعات، وسوى ذلك من الأمور التي ينبغي للأمّة الاستعداد لتحمّل أعبائها وعدم الإنكسار أو الرضوخ مهما بلغت التقديمات، ولعلّه إلى ذلك أشار القرآن بعد تعداده لأنواع الإبتلاءات التي تمرّ على الأمّة بقوله ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[1].

٩- إعداد القوّة: قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾[2].

والأمر الإلهيّ بالإعداد والجهوزيّة الكاملة والإستعداد التامّ لمواجهة الكفار وعلى كلّ المستويات هو تكليف الأمّة جمعاء الذين لا يغفلون عنّا حتى لو غفلنا عنهم، بل هم يترصّدون لحظة غفلة الأمّة للإنقضاض عليها والنيل منها، ولذا كان

(١) البقرة، ١٥٥ .
(٢) الأنفال ٦٠.

من الضـروريّ أن لا نستصغر أيّ عملٍ جهاديّ، فإنّ له موقعه وفضله وإيجابياته على كلّ حال.

وقـد بيّن ذلك أمير المؤمنيـن عليه السلام بقوله: «**الجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق فـي المواطن وشنآن الفاسقين، فمن أمـر بالمعروف شدّ ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله عزَّ وجلَّ غضب الله له**»[1].

ذم إيذاء المجاهدين

وإيـذاء المجاهدين من أقبح الأعمـال التي جعلها الله في مقام الإعتـداء على ساحة قدسه، وذلـك بتشويه رسالتهم أو اتهامهـم بالعمالة لغيرهم أو تجريم أعمالهـم علناً أو تصويرهم بأنّهـم علـى غير الهـدى وأنّ أعمالهم لا تخـدم الشريعة، بل والأصعب من ذلك ما قرأناه في الماضي ونشاهده في الحاضر من إطلاق الفتاوى الشرعيّة ضدّهم وإباحة دمائهم وأعراضهم

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص٤٤٨.

وأموالهم وبذل المال وتقديم السلاح لحربهم، وغير ذلك مما يفعله أئمّة الكفر عبر التاريخ، وما زال تاريخ هؤلاء حتّى الساعة شاهداً على قذارة أفعالهم ومواقفهم، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من اغتاب غازياً أو آذاه أو خلّفه في أهله بخلافة سوء نصب له يوم القيامة علم، فليستفرغ لحسابه ويركس في النار**»[1].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**اتقوا أذى المجاهدين في سبيل الله، فإنّ الله يغضب لهم كما يغضب للرسل، ويستجيب لهم كما يستجيب لهم**»[2].

(١) الكافي، ج٥، ص٨.

(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص٤٤٦.

المحاضرة الرابعة

ثواب المجاهدين

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾[1].

(١) النساء ٩٥.

الهدف:

بيان بعض ما أعدّ الله من الأجر والثواب ورفيع المقام في الآخرة للمجاهدين في سبيله.

المقدّمة

إذا كان الجهاد عزّ الأمة وقوتها فأجر المجاهد هو أجر من أعزّ هذه الأمّة وأعطاها القوّة والمنعة، وبكلمةٍ أوضح فإنّ أجر المجاهد ليس أجراً على سلوكٍ فرديّ وذكرٍ خاصّ وإحياء ليلةٍ بالطاعة والعبادة، بل أجره أجر من حبس نفسه للمصالح الكبيرة للأمّة وتحمّل المشقّات والالآم عن سواه من المسلمين توفيراً لحياةٍ كريمةٍ لهم، ولذلك ورد عن بعض العرفاء أنّ ساعة من ساعات الجهاد في سبيل الله تفوق عبادة سنين طويلة يقضيها الإنسان في الدعاء والتضرّع والصلاة والذكر، وهذا المعنى أشار إليه رسول الله في حديثٍ مرويّ أنّ رجلاً أتى جبلاً ليعبد الله فيه، فجاء به أهله إلى الرسول ﷺ فنهاه عن ذلك، وقال: «**إنّ صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوماً واحداً خير له من عبادة أربعين سنة**»[1].

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٤.

محاور الموضوع

ثوب المجاهدين

من الواضح في كتاب الله تفضيل أهل الجهاد على غيرهم بقوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾[1] ثمّ يوضّح هذه الدرجة بقوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾[2]، وقد أشارت الآيات والروايات إلى بعض ما أعدّه الله أجراً للمجاهدين، ونقف هنا على بعضها، فمنها:

١- تخصيصهم بباب لهم: وهذا التخصيص يعني إبرازهم وتعريفهم لعموم الخلق يوم القيامة والدلالة إلى إنجازاتهم وتضحياتهم، بل وفضلهم على الآخرين، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**للجنّة باب يقال له: باب (المجاهدون) يمضون إليه فإذا هو مفتوح، وهم متقلّدون بسيوفهم، والجمع في الموقف والملائكة ترحّب بهم**»[3].

---

(١) النساء ٩٥.

(٢) النساء ٩٧.

(٣) الكافي، ج٥، ص ٣.

٢- الخير على كلّ حال: فالمجاهد في عين الله ورعايته لا يقدم إلّا على خير ولا ينال إلّا الخير كيفما وقع الحال عليه، فعن مولانا الإمام الباقر عليه السلام: «**أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنّي راغب نشيط في الجهاد، قال: فجاهد في سبيل الله، فإنّك إن تُقتل كنت حيًّا عند الله تُرزق، وإن متَّ فقد وقع أجرك على الله وإن رجعت خرجت من الذنوب إلى الله**»[١].

٣- النجاة من النار: وهذا ممّا لا ريب فيه، إلّا أنّ تعبير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان في جهنّم**»، إشارة إلى أبعد من ذلك فعبّر بالغبار ليقول إنّ غبار ثيابهم ونعالهم ووجوههم وأسلحتهم وعرقهم وسوى ذلك إنّما هو مبارك ويستحبّ التبرّك به[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**عينان لا تمسّهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله**»[٣].

---

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٥.
(٣) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٩.

٤- الفـوز بالجنّـة: قال تعالـى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[١]، وفي قوله «**أم حسبتـم**» إشارة واضحة إلى أن الفـوز بالجنان يلازم شرطاً أكيـداً وهو الجهاد فـي سبيل الله. وعـن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**السيوف مفاتيح الجنّة**»[٢].

٥- تخصيصهـم بسبـل الهدايـة الإلهيّـة: قـال تعالـى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[٣]، وهذه الآية تتحدث عن معادلة وسنّة إلهية لازمة تقضي بإفاضة الله أنوار هدايتـه وسبل التقرب إليه بخاصة المجاهدين في الله. ولعله إلى ذلك أشار الإمام علي عليه السلام بقوله: «**المجاهد تُفتح له أبواب السماء**»[٤].

٦- الخيـرات في الآخرة: قـال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ

(١) آل عمران ١٤٢
(٢) الكافي، ج٥، ص ٢.
(٣) الروم ٢.
(٤) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٥.

هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[1]. وأطلق الله كلمة الخيرات لتعمّ كلّ ما تشتهي الأنفس وما يخطر وما لا يخطر على قلب بشر.

والإنسان على كلّ حال سينتقل من هذه الدار إمّا قتلاً وإمّا بالموت، إلّا أنّ الخير سيكون جزاء المجاهدين في سبيل الله، فعن عليّ عليه السلام: «**إنّ الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكلٌّ آتيه منيّته كما كتب الله له، فطوبى للمجاهدين في سبيله، والمقتولين في طاعته**»[2].

ثمّ إنّ الجهاد إذا اجتمع مع الهجرة كان المجاهد ممّن يرجو رحمة الله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾[3]

وفي آيةٍ أخرى اعتبرهم الله أعظم درجة إذ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾[4].

---

(١) التوبة ٨٨

(٢) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٥.

(٣) البقرة، ٢١٨

(٤) التوبة،٢٠

٧- مضاعفة الأجر والثواب: لأنّ أيّ طاعة يقوم بها المجاهد من صلاةٍ أو صومٍ أو دعاء أو سوى ذلك فهي مقترنة بجهاده وثباته على محاور القتال، فمن الطبيعيّ أن يتضاعف أجرها، فعن رسول الله ﷺ: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**»[١]. وعنه ﷺ: «**رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه**»[٢].

وعنه ﷺ: «**إنّ صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة**»[٣].

وعنه ﷺ: «**حرس ليلة في سبيل الله عزَّ وجلَّ أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها**»[٤].

وعنه ﷺ: «**لأن أحرس ثلاث ليال مرابطاً من وراء بيضة المسلمين أحبّ إليّ من أن تصيبني ليلة القدر في أحد المسجدين: المدينة أو بيت المقدس**»[٥].

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٩.
(٣) م.ن، ج١، ص ٤٤٩.
(٤) ميزان الحكمة، ج١، ص ٤٤٩.
(٥) المصدر نفسه، ج١، ص ٤٤٩.

المحاضرة الخامسة

مقام الشهادة

تصدير الموضوع:

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «ما من قطرة أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها العبد إلّا الله عزَّ وجلَّ»[1].

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٢٨٤.

الهدف:

بيان علوّ المقام الذي يتمتّع به الشهيد في الآخرة وفضله وعظمته على سائر الخلق في الدنيا.

المقدّمة

لا يمكن لبيان أدبٍ أو شعرٍ أو كلامٍ أو سوى ذلك أن يتحدّث عن الشهادة ومقاماتها وعشق المجاهدين والشهداء وصفاء نفوسهم ونقاء سريرتهم وهم الذين باعوا أنفسهم لله وحده، كما يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾[1]، واشترى الله هذه الأنفس بنعيم الأبد، فكانت نعم التجارة مع الله وأربح التجارة وأوفاها، وهل بعد التجارة مع الله مقام أو مرتبة أو درجة يمكن للعبد أن يبلغها؟

محاور الموضوع

ثواب طلب الشهادة

وطلب الشهادة معناه أن يجاهد المرء في سبيل الله طامعاً في الشهادة، وأن يدعو الله أن يرزقه إيّاها، فعن رسول الله ﷺ: **«من طلب الشهادة صادقاً أعطيها، ولو لم تصبه»**[2].

(١) التوبة، ١١١.

(٢) روضة الطالبين، ج١، ص٨٧.

وعنه ﷺ: «**من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**»[1]. فالمؤمن ينبغي أن يوطن نفسه على الشهادة دائماً، أي أن يملك هذه الروحية.

الشوق للشهادة

وحبّ الشهادة يجعل المرء يرغب بها ويميل إليها، فإذا أصبح عاشقاً لها تراه يفتقدها دائماً وينتظر وقوعها بفارغ الصبر، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**..... والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه**»[2].

وعنه عليه السلام – عندما يوبّخ أصحابه على التواني عن الجهاد –: «**إنّ أحبّ ما أنا لاق إليّ الموت**»[3].

وعنه عليه السلام: «**فوالله إنّي لعلى الحقّ، وإنّي للشهادة لمحبّ**»[4].

وعنه عليه السلام: «**فوالله لولا طمعي عند لقاء عدوّي في الشهادة**

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٥١٦.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج١، ص٤٠.
(٣) المصدر نفسه، خطب الإمام علي، ج٢، ص١٠١.
(٤) مصباح البلاغة، ج١، ص٢٨٤.

وتوطيني نفسي عند ذلك، لأحببت ألّا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً»[1].

وعنه عليه السلام – بعدما ضربه ابن ملجم –: «**والله ما فجأني من الموت وارد كرهتـه ولا طالع أنكرته، وما كنت إلّا كقارب ورد وطالب وجد**»[2].

حياة الشهيد

يؤكّد القرآن الكريم أنّ الشهداء ينعمون بحياةٍ هانئة سعيدة، وأنّ الشهادة ليست إلّا معبراً نحو هذه الحياة التي لا يشعر بها بقيّة الناس.

قال تعالـى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[3].

وقال تعالـى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[4].

فضل الشهادة

وكرامـة الشهادة والقتل في سبيل الله من أعظم الكرامات

---

(١) نهج البلاغة، إبن أبي الحديد، ج٦، ص٩٣.
(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج٣، ص٢١.
(٣) آل عمران، ١٦٩.
(٤) البقرة، ١٥٤.

التـي لا يدانيها فضل، فعـن علـيّ عليه السلام: «**إنّ أكرم الموت القتـل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله**»[1].

وأمّا فضائل هذه الشهادة فهي أعظم من أن تُحصى بركاتها، وأكبـر من أن ندرك بعقولنا كرامة الشهيـد عند ربّه وما يلاقيه من الأجر وعظيم المقام، والتي منها:

١- إقتران الشهادة بالفوز: وهذا مبدأ لا يقبل الشكّ أو الترديد فيه. فعن عليّ عليه السلام - لمّا ضربه ابن ملجم -: «**فزت وربّ الكعبة**»[2].

٢- أعلـى مقامات البِـرّ: لأنّه لا يوجد في الحيـاة أغلى على الإنسان مـن نفسه، وبالتالي فإنّه عندما يجود بها فيكون قد وصـل إلى أعلى مراتـب القرب من الله. فعـن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فوق كلّ ذي برٍّ بَرٌّ حتّى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه بَرّ**»[3].

---

(١) نهج البلاغة ج٢، ص ٢.
(٢) شرح أصول الكافي، ج١١، ص٢٥٥.
(٣) الكافي، ج٢، ص٣٤٨.

٣- أشـرف الموت: أسباب الموت كثيـرة متنوّعة إلّا أنّ قتل الشهـادة يعني فناء الشهيد في الدفاع عن مقدّسات الأمة، فعن عليّ عليه السلام: «**أشرف الموت قتل الشهادة**» (١).

الإمام زين العابدين عليه السلام: «**ما من قطرة أحبّ إلى الله من قطرة دم في سبيل الله**» (٢).

وعن علـيّ عليه السلام: «**إنّ أكرم الموت القتـل، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألـف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله**» (٣).

٤- أفضـل ما تُختم به الحياة: فاختتـام الحياة بالشهادة يعني ثبات الإنسان علـى الصراط طيلة حياته. فعن عليّ عليه السلام - فـي ختام كتابه للأشتر لمّـا ولّاه مصر -: «**وأنا أسأل الله بسعة رحمتـه وعظيم قدرته علـى إعطاء كلّ رغبـة،... أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة**»(٤).

٥- السعـادة الكبـرى: باعتبارهـا مفتاح الحيـاة الأبديّة، عن

---

(١) الدعوات، ص٢٤٢.
(٢) الكافي، ج٥، ص٥٣.
(٣) الكافي، ج٥ ص٥٣.
(٤) نهج البلاغة، خطب الإمام علي، ج٣، ص١١١.

الإمام الحسين عليه السلام: «**إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»(١).

٦- رفع عذاب القبر: عن الشهيد والمجاهد على حدٍّ سواء، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من لَقِيَ العدوّ فصبر حتّى يُقتل أو يغلب لم يفتن في قبره**»(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم - لمّا سئل عن عدم افتتان الشهيد في القبر -: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»(٣).

٧- الشهادة وتكفير الذنوب: وهذه إحدى النعم والبركات الإلهيّة التي يمنّها الله على الشهيد، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**كلّ ذنب يكفره القتل في سبيل الله إلّا الدَّيْن، فإنّه لا كفّارة له إلّا أداؤه، أو يقضي صاحبه، أو يعفو الذي له الحق**»(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قتل في سبيل الله لم يعرّفه الله شيئاً من سيّئاته**»(٥).

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٥١٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٢ ص١٥١٥.
(٣) م.ن، ج٢، ص١٥١٥.
(٤) الكافي، ج٥، ص٩٤.
(٥) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٤.

أفضل الشهداء

ومن الطبيعيّ أن يكون الشهداء مراتب ودرجات، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصفّ الأوّل، فلا يلفتون وجوههم حتّى يُقتلوا، أولئك يتلبّطون في الغرف العلى من الجنّة، يضحك إليهم ربّك، فإذا ضحك ربّك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه**»[1].

ولذلك نقرأ في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه عند مواجهة الأعداء يكون أقرب القوم إليهم وأشجعهم في القتال.

تمني الشهيد

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرّها أنّها ترجع إلى الدنيا، ولو أنّ لها الدنيا وما فيها، إلّا الشهيد، فإنّه يتمنى أن يرجع فيُقتل في الدنيا، لما يرى من فضل الشهادة**»[2].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٥١٨..

(٢) مستدرك الوسائل، ج١١، ص١٣.

المحاضرة السادسة

مقام الشهادة (٢)

تصدير الموضوع:

عن الإمام علـيّ عليه السلام : «**إنّ الفارّ لغير مزيد في عمـره، ولا محجوز بينه وبين يومه**»[١]

(١) نهج البلاغة ، خطب الإمام علي ، ج٢ ، ص٤ .

الهدف:

بيـان تقدير المـوت والشهادة في حيـاة الإنسان ومن لهم حكم الشهداء في الإسلام.

المقدّمة

أبــى الله للمؤمن إلّا أن تكون له الحيــاة الكريمة، ورفض له أيّ لــون من ألوان القهر والذلّ، بل اعتبر أنّ الرضا بهذه الحياة خروج عن الإيمان والطاعة لله تعالى، لما هو واضح أنّ من عبد الله حقّــاً كان أعزّ الناســ وأكرمهم، وأبى علــى نفسه كلّ ما لا يتناسب مع هذه العزّة الإلهيّة حتّى ولو كلّفه ذلك حياته، بل إنّ جمال الحياة وسعادتها في العيش بكرامة الإيمان، وذلّ الحياة وشقاوتها في العيش تحت رحمة البغاة الظالمين، وهذا ما صرّح بــه الإمام الحسين عليه السلام - فــي مسيره إلى كربلاء -: «**إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[1].

محاور الموضوع

تقدير الشهادة والموت

يــردّ القرآن الكريم علــى الذين يتوهمّــون أنّ الجهاد يضع حدّاً لآجال الناســ، وأنّ ترك الجهاد يزيد في أعمارهم فيقول

(١) تحف العقول، ص ٢٤٥.

تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ﴾[2].

من لهم حكم الشهداء

الموت على الولاية: فالثبات على الولاية بمعناها السياسيّ وعدم التبرّؤ من أهل بيت العصمة على مستوى الفعل والسلوك يرفع الإنسان عند وفاته إلى منزلة الشهداء، فعن الإمام الحسين عليه السلام: «**ما من شيعتنا إلّا صدّيق شهيد**»، – قال زيد بن أرقم: – قلت: «**أنّى يكون ذلك وهم يموتون على فرشهم**» ؟ فقال: أما تتلو كتاب الله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ثمّ قال عليه السلام: «**لو لم تكن الشهادة إلّا لمن قتل بالسيف لأقلّ الله الشهداء**»[3].

---

(١) آل عمران، ١٥٤.

(٢) آل عمران، ١٥٦.

(٣) ميزان الحكمة، ج٢، ص ١٥١٧.

ونفس المعنى نقرأه عن الإمام الصادق عليه السلام - «**لأبي بصير -: يا أبا محمّد! إنّ الميت على هذا الأمر (أي ولاية أهل البيت) شهيد، قلت: جعلت فداك وإن مات على فراشه؟ قال: وإن مات على فراشه، فإنّه حيٌّ يرزق**»[1].

ويعبّر عن ذلك الإمام عليّ عليه السلام بمعرفة الحقّ بقوله: «**من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النيّة مقام إصلاته لسيفه**»[2].

وهذه الولاية استخدم لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفظ الحبّ تماماً بنفس المعنى الذي استخدمه الله تعالى في كتابه حين أمرنا بالمودّة لأهل بيت العصمة عليهم السلام، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً**»[3]. الإمام عليّ عليه السلام: «**المؤمن على أيّ حال مات، وفي أي ساعة قبض، فهو شهيد**»[4].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص ١٥١٧.
(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٥١٧.
(٣) م.ن، ج٢، ص ١٥١٧.
(٤) م.ن، ج٢، ص ١٥١٧.

الموت دون ماله: وهذا لا يعني أهميّة المال على النفس، بل يعني مواجهة الظالم الذي يريد مصادرة المال، كما يعني كرامة النفس عن الخنوع لغير ذات الله، فعن رسول الله ﷺ: «**من أريد ماله بغير حقّ فقاتل فقُتل فهو شهيد**»[1].

الموت دون أهله وماله وجاره: فعن رسول الله ﷺ: «**من قُتل دون أهله ظلماً فهو شهيد، ومن قُتل دون ماله ظلماً فهو شهيد، ومن قُتل دون جاره ظلماً فهو شهيد، ومن قتل في ذات الله عزَّ وجلَّ فهو شهيد**»[2]. وكأنّ الحديث ناظر إلى عدوٍّ ظالم يدخل بيتك أو قريتك أو مدينتك فإنّه والحال هذه يجب الدفاع عن كلّ ذلك، وأنّ المقتول دون ذلك له مرتبة الشهداء.

الموت دفاعاً عن النفس: عن رسول الله ﷺ: «**من قاتل دون نفسه حتى يُقتل فهو شهيد**»[3]. وهذا القول من رسول الله ﷺ يعطي للإنسان مشروعيّة الدفاع عن نفسه فيما لو حاول أحد النيل منه، وبكلمةٍ أخرى فإنّ الدفاع عن النفس ممّا

(١) م.ن، ج٢، ص ١٥١٦.
(٢) ميزان الحكمة، ج٢، ص ١٥١٦.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص ١٥١٦.

أجازه رسول الله ﷺ بشكلٍ مطلق.

الموت دون حقّه: كأن يموت المرء دون أرضه وممتلكاته التي يريد الظالم غصبها، أو يموت دفاعاً عن قضيّةٍ عادلة، فعن رسول الله ﷺ: «**من قُتل دون مظلمته فهو شهيد**»[1]. وعنه ﷺ: «**نعم الميتة أن يموت الرجل دون حقّه**»[2].

الشهادة في عصر الغيبة

ولها أجرٌ مضاعف كما أنّ الجهد والعمل الذي يبذله المرء في عصر الغيبة تمهيداً لظهور القائم له أجرٌ مضاعف، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من مات منكم على هذا الأمر شهيد بمنزلة الضارب بسيفه في سبيل الله**»[3].

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**من مات على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد**»[4].

(١) م.ن، ج٢، ص١٥١٦.
(٢) م.ن، ج٢، ص١٥١٦.
(٣) فضائل الشيعة، ص٣٧.
(٤) كمال الدين وتمام النعمة، ص٣٢٣.

فالقتال بين يدي النبيّ أو الإمام قتال مع ظهور الشمس وبيانها للعيان، وأمّا القتال في عصر الغيبة فهو قتال على نور الشمس التي ظلّلها السحاب، فهو بحاجةٍ لوعي وبصيرة وثبات قد لا يحتاج إليها الجهاد بين يدي المعصوم. نعم استثنى علماؤنا من هذ القاعدة شهداء كربلاء الذين وصفهم الإمام الصادق بقوله: «**مصارع عشّاق لم يسبقهم أحد ولم يلحق بهم أحد**».

وفي الختام نستحضر ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام – من دعائه لمّا عزم على لقاء القوم بصفين –: «**اللهمّ ربّ السقف المرفوع... إن أظهرتنا على عدوّنا فجنبنا البغي وسددنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة**»[1].

(١) نهج البلاغة، ج٢، ص ٨٤.

الباب السادس

الموت والاستعداد للآخرة

- تفسير الموت في كلمات المعصومين عليهم السلام
- الاستعداد للموت
- ذكر الموت
- سكرة الموت
- التزود للآخرة

المحاضرة الأولى

تفسير الموت في كلمات المعصومين عليهم السلام

تصدير الموضوع:

عن الإمام علي عليه السلام: «**إن في الموت لراحة لمن كان عبد شهوته وأسير أهويته، لأنه كلما طالت حياته كثرت سيئاته وعظمت على نفسه جناياته**»[1].

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٢.

الهدف:

بيان حقيقة الموت لا سيّما عند المؤمن والكافر من خلال كلمات المعصومين.

المقدّمة

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**لمّا اشتدّ الأمر بالحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم، لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم وتهدي جوارحهم وتسكن نفوسهم**». فقال بعضهم لبعض: «**انظروا لا يبالي بالموت**»! فقال لهم الحسين عليه السلام: «**صبراً بني الكرام! فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر**»؟[1].

محاور الموضوع

الموت في كلمات المعصومين عليهم السلام

عن الإمام عليّ عليه السلام: وقد سئل عن تفسير الموت: «**على الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إمّا بشارة**

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٥٩.

بنعيم الأبد، وإمّا بشارة بعذاب الأبد، وإمّا تحزين وتهويل وأمر مبهم، لا يدري من أيّ الفرق هو...»[١]

عن الإمام الحسن عليه السلام: - لمّا سئل عن الموت -: **«للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفكّ قيود وأغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، وأوطأ المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل أنيسة، والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل، وأعظم العذاب».**[٢]

وعنه عليه السلام: **«أعظم سرور يرد على المؤمنين إذ نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذ نقلوا عن جنّتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد»**[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«للمؤمن كأطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب وأشدّ!»**. قيل: فإنّ قوماً يقولون: **«إنّه**

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٥٩.
(٣) م.ن، ج٤، ص ٢٩٥٩.

أشدّ من نشر بالمناشير ! وقرض بالمقاريض! ورضخ بالأحجار ! وتدوير قطب الأرحية على الأحداق! قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين...» [1]

وعن الإمام الكاظم عليه السلام - لمّا دخل على رجل قد غرق في سكرات الموت: «**الموت هو المصفاة يصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم كفّارة آخر وزر بقي عليهم، ويصفّي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذّة أو راحة تلحقهم، وهو آخر ثواب حسنة تكون لهم...**» [2].

وعن الإمام الرضا عليه السلام - في عيادة رجل من أصحابه -: كيف تجدك؟ قال: «**لقيت الموت بعدك**»! - يريد ما لقيه من شدّة مرضه - فقال: «**كيف لقيته**»؟ فقال: «**أليماً شديداً**»، فقال: «**ما لقيته، إنّما لقيت ما ينذرك به ويعرّفك بعض حاله...**»[3]

وعن الإمام الجواد عليه السلام - لمّا سئل عن الموت -: «**هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلة إلّا أنّه طويل مدّته لا ينتبه منه إلّا**

---

(١) م.ن، ج٤، ص ٢٩٥٩.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٠.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٠.

يـوم القيامة، فمن رأى في نومه مـن أصناف الفرح ما لا يقادر قدره، ومن أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره، فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه؟ هذا هو الموت فاستعدّوا له »[1].

وعـن الإمـام العسكـري عليه السلام: دخـل عليّ بـن محمّد عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت، فقال له: «**يا عبد الله تخاف من الموت لأنّك لا تعرفه، أرأيتك إذا اتسخـت وتقذرت وتأذيت من كثـرة القذر والوسخ عليك وأصابك قـروح وجرب وعلمـت أنّ الغسل فـي حمّام يزيل ذلـك كلّه أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلـك عليك**»؟ قال: «**بلى يا ابن رسول الله**»، قـال: «**فذاك الموت هو ذلـك الحمّام، وهو آخر ما بقي عليك مـن تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيّئاتـك، فإذا أنت وردت عليه وجاوزته فقد نجوت من كلّ غمّ وهمّ وأذًى، ووصلت إلى كلّ سرور وفرح، فسكن الرجل واستسلم ونشط وغمض عين نفسه ومضى لسبيله**»[2].

(١) م.ن، ج٤، ص ٢٩٥٩.
(٢) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٠.

موت المؤمن

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

فالموت ريحانة المؤمن كما ورد عن رسول الله ﷺ لأنه انعتاقٌ له من سجنه الدنيويّ إلى الحريّة الأبديّة في النعيم الإلهيّ، وقد شبّهه رسول الله عليه السلام بخروج الجنين من بطن أمّه فقال ﷺ: **«ما شبّهت خروج المؤمن من الدنيا إلّا مثل خروج الصبيّ من بطن أمّه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا»**[3].

عنه ﷺ: **«إن ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذليل من المولى، فيقوم وأصحابه لا يدنو منه حتى يبدأه بالتسليم ويبشره بالجنة»**[4].

وعن الإمام الصادق عليه السلام – في قوله تعالى: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ

---

(١) النحل ٣٢.
(٢) الفجر ٢٧ ـ ٣٠.
(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦١.
(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦١.

فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، : «هـو أن يبشّراه بالجنّـة عند الموت، يعني محمداً وعلياً عليهما السلام»[١].

وعنه عليه السلام : «**أمّا المؤمن فما يحسّ بخروجها**»، وذلك قول الله سبحانـه وتعالى:، (يـا أيتها النفـس...)، «**ذلك لمن كان ورعاً مواسياً لإخوانه وصولاً لهم**»[٢].

في حديث المعراج عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**وإذا كان العبد في حالـة الموت يقوم على رأسـه ملائكة، بيد كل ملك كأس من ماء الكوثر وكأس من الخمر يسقون روحه حتّى تذهب سكرته ومرارته، ويبشّرونه بالبشارة العظمى**» ويقولون له: «**طبت وطاب مثواك، إنّك تقدم على العزيز الحكيم الحبيب القريب**»[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : «**أوّل ما يبشّر به المؤمن روح وريحان وجنّة نعيم، وأوّل مـا يبشّر به المؤمن**» أن يُقال لـه: «**أبشر وليّ الله برضاه والجنّة! قدمت خير مقدم، قد غفر الله لمن شيّعك، واستجاب لمن استغفر لك، وقبل من شهد لك**»[٤].

---

(١) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦١.
(٢) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦١.
(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦١.
(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦١.

موت الكافر

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

ونكتفي بحديثٍ عن رسول الله ﷺ يصف فيه موت الكافر وخروج روحه: «**... وإن كان لأوليائنا معادياً، ولأعدائنا موالياً، ولأضدادنا بألقابنا ملقّبا، فإذا جاءه ملك الموت لنزع روحه مثّل الله عزَّ وجلَّ لذلك الفاجر سادته الذين اتخذهم أرباباً من دون الله، عليهم من أنواع العذاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه، ولا يزال يصل إليه من حرّ عذابهم ما لا طاقة له به. فيقول له ملك الموت: يا أيّها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه، فاليوم لا يغنون عنك شيئاً، ولا تجد إلى مناص سبيلاً، فيرد عليه من العذاب ما لو قسم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم**»[3]

---

(١) النحل ٢٨.

(٢) محمد ٢٧.

(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦١.

المحاضرة الثانية

الاستعداد للموت

تصدير الموضوع:

عن عليّ عليه السلام: «بادروا الموت الذي إن هربتم منه أدرككم، وإن أقمتم أخذكم، وإن نسيتموه ذكّركم»[1].

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص٢٩٦٧.

الهدف:

بيان مفهوم الاستعداد للموت والمراد منه وكيفيّة القيام به وعلّة الاستخفاف به.

المقدّمة

عن الإمـام عليّ عليه السلام: «**استعـدّوا للموت فقـد أظلّكم، وكونـوا قوماً صِيـح بهم فانتبهوا، وعلمـوا أنّ الدنيا ليست لهم بـدار فاستبدلـوا... وما بين أحدكـم وبين الجنّـة أو النار إلّا الموت أن ينزل بـه...**[1] **نسأل الله سبحانـه أن يجعلنا وإيّاكم ممّـن لا تبطره نعمة، ولا تقصّر به عن طاعة ربّه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامة ولا كآبة**».

فإنّ مـن أهمّ ما يوجب على المرء الاستعـداد للموت أنّه لحظة الفصل بين السعادة أو الشقاء الأبديّين، وبالتالي فإنّ الاستعداد له ينبغي أن يكون بمستوى أهميّته وخطورته، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّ قادماً يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحقّ لأفضل العدّة**»[2].

محاور الموضوع

التأكيد على الاستعداد للموت

أكّدت الروايـات على ضرورة الاستعداد للمـوت وأنّه أمرٌ فطريّ يتناسب مع فطرة الإنسـان الذي يستعدّ لأيّ أمر يتوقّع

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٩٦٦.
(٢) م.ن، ج٤، ص٢٩٦٧.

نزولـه به، فضلاً عـن الأمر الذي يتيقّن حدوثـه، ولذلك كان الاستعـداد للمـوت واحداً من هذه الأمور التـي لا ينبغي أن يغفـل عنها، وعـن الإمام عليّ عليه السلام: «**إن أمـراً لا تعلم متى يفجأك ينبغي أن تستعدّ له قبل أن يغشاك..**»[1]. وعنه عليه السلام: «**أسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يُدعى بكم**»[2].

ويؤكّـد أمير المؤمنيـن أنّ الاستعداد للمـوت من صفات العاقل فيقـول عليه السلام: «**إنّ العاقل ينبغي أن يحذر الموت في هذه الـدار، ويحسن له التأهّب قبل أن يصـل إلى دار يتمنّى فيها الموت فلا يجده**»[3].

تفسير الاستعداد للموت

ولا يعني الاستعداد للموت أن لا ينشغل المرء بأمور حياته ويلبّـي حاجاتـه اليوميّة، بل معنـاه كما ورد عـن الإمام عليّ عليه السلام – لمّا سئل عن الاستعـداد للموت –: «**أداء الفرائض،**

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٦.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٦.
(٣) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٦.

واجتناب المحارم، والاشتمال على المكارم، ثمّ لا يبالي أوقع علـى الموت أم وقع الموت عليه، والله ما يبالي ابن أبي طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه» [1].

ومـن الصـور الجميلة مـا يعبّر عنـه الإمام زيـن العابدين عليه السلام - لمّـا سئل عن خير المـوت -: «**أن يكون قد فرغ من أبنيته ودوره وقصوره، قيـل: وكيف ذلك؟ قال: أن يكون من ذنوبه تائباً، وعلى الخيرات مقيماً، يرد على الله حبيباً كريماً**»[2].

ولعـل المراد بهذا الحديـث أن الإنسان إنمـا يكون خير من استعد للموت إذا انتهى من بناء آخرته.

وعـن علـيّ عليه السلام يؤكّـد على أنّ تـرك المعاصـي وفعل الخيـرات هو خيـر الاستعـداد للموت فيقـول عليه السلام: «**إنّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام، وبذل الندى والخير**»[3].

وعنه عليه السلام: «**اعلم أنّ أمامك عقبة كؤوداً المخفّ (أي قليل الذنـوب) فيها أحسن حالاً من المثقـل (أي كثير الذنوب)،**

(١) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٩.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٩.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٩.

والمبطئ عليها أقبح حالا من المسرع... فارتد لنفسك قبل نزولك، ووطِّئ المنزل قبل حلولك»[1].

وإنّ ممّا يساعد في الاستعداد للموت أن يعيش الإنسان فكرة اقتراب الرحيل، فيرى الموت بعين اليقين لا بعين الشاكّ ويتوقّعه في كلّ لحظة، فعن عليّ عليه السلام: «**من رأى الموت بعين يقينه رآه قريباً**»[2].

وعنه عليه السلام: «**إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى**»[3]! وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أصلحوا الدنيا واعملوا لآخرتكم كأنّكم تموتون غداً**»[4].

بركات الاستعداد للموت

١- الموت الهنيء: عن عليّ عليه السلام: «**من استعدّ لسفره قرّ عيناً بحضره**»[5].

---

(١) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٦.
(٢) م.ن، ج٤، ص ٢٩٥٨.
(٣) م.ن، ج٤، ص ٢٩٥٨.
(٤) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٧.
(٥) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٧.

٢- المسارعة إلى فعل الخيرات: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من ارتقب الموت سارع في الخيرات**»[١].

٣- العزوف عن الدنيا: عنه عليه السلام: «**ازهد في الدنيا واعزف عنها، وإيّاك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربّك في طلبها فتشقى**»[٢].

٤- المبادرة إلى العمل: فعن عليّ عليه السلام: «**لا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل... يخشى الموت، ولا يبادر الفوت**»[٣].

أي لا يبادر بالعمل قبل فوات الأوان.

٥- عدم الفجأة: والاستعداد للموت ينفي أهوال موت الفجأة، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**موت الفجأة راحة للمؤمن وحسرة للكافر**»[٤].

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**والله ما فجأني من الموت وارد كرهته، ولا طالع أنكرته، وما كنت إلّا كقارب ورد، وطالب وجد، وما عند الله خير للأبرار**»[٥].

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٩٦٧.
(٢) م.ن، ج٤، ص٢٩٦٧.
(٣) م.ن، ج٤، ص٢٩٦٧.
(٤) م.ن، ج٤، ص٢٩٧٥.
(٥) م.ن، ج٤، ص٢٩٧٥.

تمنّي الموت

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾[1].

والاستعداد للموت لا يعني تمني الموت وطلبه لضائقةٍ أو بلاءٍ أو ما شابه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يتمنّى أحدكم الموت لضرّ نزل به، فإن كان ولا بدّ فاعلاً فليقل: اللهمّ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي**»[2].

وتمني الموت لازمه يقين المرء بحسن ما قدّم وأنه يثق بعمله الذي قدّمه بين يديه وأنه مقبل على مغفرة الله ورحمته، فمن رأى ذلك في نفسه وأمن عذاب الله كان صادقاً فيما يتمنى وراجحاً ما يصبو إليه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يتمنى أحدكم الموت إلا أن يثق بعمله**»[3].

وهذا ما أشار إليه الإمام عليّ عليه السلام للحارث الهمذانيّ:

---

(١) البقرة: ٩٤ـ٩٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٧٠.

«وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت، ولا تتمنّ الموت إلّا بشرط وثيق»[1].

وما لم يكن واثقاً بعمله فإنّه والحال هذه يتمنّى الهلاك، فعن الإمام الكاظم عليه السلام يبيّن لأحدهم أنّ تمنّي الموت يعني تمنّي الهلاك الأبديّ فيقول له: **«هل بينك وبين الله قرابة يحابيك لها؟ قال: لا، قال: فهل لك حسنات قدّمتها تزيد على سيّئاتك؟ قال: لا، قال: فأنت إذاً تتمنّى هلاك الأبد»**[2].

بل ورد في بعض الروايات تأكيدها على أنّ تمنّي الحياة خيرٌ من تمنّي الموت، فعن الإمام الصادق عليه السلام - لرجل يتمنّى الموت -: **«تمنّ الحياة لتطيع لا لتعصي، فلأن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت فلا تعصي ولا تطيع»**[3].

عدم التأهّب للموت

ويستغرب الإمام عليّ عليه السلام ممّن لا يتأهّب للموت قائلاً:

---

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص ١٢٩.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٧١.
(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٧١.

«عجبت لمن يرى أنّـه ينقص كلّ يوم في نفسه وعمره وهو لا يتأهّب للموت» [١].

ويرجع ذلك إلى جملة أسباب، أهمّها:

العجـز: أي عجز المرء عـن هذا الاستعـداد وانجرافه في حبائـل الدنيا، فعن علـيّ عليه السلام: **«إذا كان هجـوم الموت لا يؤمن، فمن العجز ترك التأهّب له»** [٢].

ويحـذّر من ذلك بقولـه عليه السلام: **«إيّاك أن ينزل بك الموت وأنت آبق عن ربّك في طلب الدنيا»** [٣].

الغفلة: عنه عليه السلام: **«إنّ وراءك طالباً حثيثاً من الموت، فلا تغفل»** [٤].

عنه عليه السلام: **«تارك التأهّب للموت واغتنام المهل غافل عن هجوم الأجل»** [٥].

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٧٩.
(٢) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٦.
(٣) نهج البلاغة، ج٣، ص ١٣١.
(٤) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٦.
(٥) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٦.

المحاضرة الثالثة

ذكر الموت

تصدير الموضوع:

الإمام علـيّ عليه السلام: «**اذكروا هادم اللّذّات، ومنغّص الشهوات، وداعي الشتات، اذكروا مفرّق الجماعات، ومباعد الأمنيّات، ومدنّي المنيّات، والمؤذن بالبين والشتات**»[1].

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٤.

الهدف:

التأكيد على ذكر الموت وعدم الغفلة عنه في مجالسنا وسهراتنا ولقاءاتنا.

المقدّمة

ورد في الدعاء عن الإمام السجّاد عليه السلام: «**اللهمّ إنّ ذكر الموت وأهوال المطلع والوقوف بين يديك نغصّني مطعمي ومشربي وأغصّني بريقي وأقلقني عن وسادي ومنعني رقادي، كيف ينام من يخاف ملك الموت في طوارق الليل وطوارق النهار؟! بل كيف ينام العاقل وملك الموت لا ينام لا بالليل ولا بالنهار ويطلب روحه بالبيات وفي آناء الساعات**»[1]؟!

وكان عليه السلام يسجد بعد هذا الدعاء ويلصق خده بالتراب ويقول: «**أسألك الروح والراحة عند الموت والعفو عنّي حين ألقاك**»[2].

محاور الموضوع

ضرورة ذكر الموت

عن الإمام عليّ عليه السلام - لابنه الحسن عليه السلام -: «**يا بنيّ أكثر من ذكر الموت، وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت**

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي، ص ١٣٣.
(٢) المصدر نفسه، الشيخ الطوسي، ص ١٣٣.

إليه، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرك وشددت له أزرك، ولا يأتيك بغتة فيبهرك» [١].

فكثرة ذكر الموت تجعل من الإنسان دائم الإستعداد للموت، مجانباً للغفلة والسهو واللعب والضحك واللّامبالاة، وقد جاء في الرواية أنّ رسول الله ﷺ مرّ بمجلس وهم يضحكون فقال -: «**أكثروا ذكر هادم اللذّات، أحسبه قال: فإنّه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلّا وسّعه، ولا في سعة إلّا ضيّقه عليه**»[٢].

وعن الإمام علي عليه السلام: «**أوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم، وطمعكم فيمن ليس يمهلكم ! فكفى واعظا بموتى عاينتموهم**»[٣].

وعن رسول الله ﷺ: « **أكثروا من ذكر هادم اللذات، فقيل: يا رسول الله فما هادم اللذات ؟ قال: الموت، فإن أكيس المؤمنين أكثرهم ذكراً للموت، وأشدُّهم له استعداداً**»[٤].

---

(١) نهج البلاغة، ج٣، ص ٤٩.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٤) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٥.

ولقد كان رسول الله ﷺ يسأل أصحابه عن ذكرهم للموت كما كان يوصيهم بأيّ منقبةٍ أخرى، ومن كان قليل الذكر للموت كان الرسول يُسقطه من عينه كما في بعض الروايات.

بركات ذكر الموت

١- محور الفضائل: فلذكر الموت فضائل جمّة لا تُعَدّ ولا تحصى، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ويقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ويرقّ الطبع ويكسر أعلام الهوى ويطفئ نار الحرص ويحقر الدنيا**»[١].

٢- محبّة الله: لأنّ ذكر الموت يجعلك قريباً من الله مدركاً لحضورك بين يديه، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: أنّه قال: «**أفطر رسول الله ﷺ عشيّة خميس في مسجد قبا فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولي الأنصاري بعسلٍ مخيض بعسل، فلمّا وضعه على فيه نحّاه، ثمّ قال: شرابان يُكتفى بأحدهما عن صاحبه، لا أشربه ولا**

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٤.

أحرّمه، ولكن أتواضع لله، فإنه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر حفظه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله»[١].

٣- المسارعة إلى الخيرات: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أديموا ذكر هادم اللذّات قالوا يا رسول الله وما هادم اللذات، قال الموت فإنه من أكثر ذكر الموت سلى عن الشهوات ومن سلى عن الشهوات هانت عليه المصيبات ومن هانت عليه المصيبات سارع في الخيرات**»[٢].

٤- حائلٌ دون الشهوات: عن الإمام عليّ عليه السلام: «**أكثروا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم من الشهوات وكفى بالموت واعظاً**»[٣]، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: «**أكثروا ذكر الموت، فإنّه هادم اللذّات حائل بينكم وبين الشهوات**»[٤].

٥- الرضا والقناعة: عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال «**أكثروا ذكر**

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٥٥٨.
(٢) مسند زيد بن علي، ص ٣٨٦.
(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٥.

هـادم اللذّات، فما ذكر في كثير إلّا قلّلـه، ولا في قليل إلّا كثّـره»[1]، ومعنـى ذلك أنه متى ذكر المـوت في قليل من الرزق استكثره الإنسان لاستقلال ما بقي من عمره، ومتى ذكـره في كثير قلّله لأنّ كثير الدنيا إذا علم انقطاعه بالموت قلّ عنده.

وعن علـيّ عليه السلام: «**من أكثـر من ذكر المـوت رضي من الدنيا بالكفاف**»[2].

٦- الزهـد في الدنيا: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أكثروا ذكر الموت، فإنّه ما أكثر ذكر الموت إنسان إلّا زهد في الدنيا**»[3].

والزهد في الدنيا يستلـزم الإعراض وعدم الرغبة بها، فعن الإمـام عليّ عليه السلام: «**من أكثر من ذكر الموت قلّت في الدنيا رغبتـه**»[4]. وعنه عليه السلام: «**مـن ذكر الموت رضـي من الدنيا باليسيـر**»[5]. وعنه عليه السلام: «**أكثروا من ذكر الموت فإنّه يمحق**

---

(١) تذكرة الفقهاء، ج١، ص ٣٣٦.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٦.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٤) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٥) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٥.

الذنـوب ويزهّد في الدنيا، فـإن ذكرتموه عند الغنى هدمه وإن ذكرتموه عند الفقر أرضاكم بعيشكم»[1].

٧- عـدم اللّهـو واللّعب: عن عليّ عليه السلام فـي حديثٍ له عن عمرو بن العاصـ: «**أما والله إنّي ليمنعنـي من اللّعب ذكر الموت. وإنه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة**»[2].

فذكـر الموت يجعل مـن الإنسان إنساناً مسـؤولاً، كما أنّ نسيانـه ونسيـان الآخرة من بعـده يحرف الإنسـان عن جادّة الحقّ إلى جادّة الضلالة والعمى.

٨- أفضـل الطاعات: عن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الزهد في الدنيـا ذكر المـوت، وأفضل العبادة ذكـر الموت، وأفضل التفكّر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنّة**»[3].

٩- الحشر مـع الشهداء: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما سئل هل يحشـر مع الشهداء أحد: «**نعم مـن يذكر الموت في اليوم**

(١) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٢) نهج البلاغة، ج١، ص ١٤٧.
(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٤.

والليلة عشرين مرة»[1].

فذاكر الموت يُشارك الشهداء في الإرتباط الدائم بالساحة القدسيّة لله تبارك وتعالى، ولذلك كان معهم وفي درجتهم يوم القيامة.

١٠- حياة القلوب: عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أكثروا ذكر الموت، فما من عبد أكثر ذكره إلّا أحيى الله قلبه وهوّن عليه الموت**»[2].

١١- هوان المصائب: عن الإمام عليّ عليه السلام: «**أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عزَّ وجلَّ، تهون عليكم المصائب**»[3].

ولذلك نرى أنّ قراءة عزاء أبي عبد الله عليه السلام من أكثر الأمور التي تساعد المرء على التخفيف من مصابه وتسلّيه عن مأساته. عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «**أكثر ذكر الموت يسلك عمّا سواه**»[4].

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٢) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٣) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٥.
(٤) م.ن، ج٤، ص ٢٩٦٥.

المحاضرة الرابعة

سكرة الموت

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾[1].

(١) ق ١٩.

الهدف:

إلقاء الضوء على بعض أهوال سكرات الموت وبعض ما يخفّف ذلك عن الإنسان.

المقدّمة

عن الإمام عليّ عليه السلام – لمحمّد بن أبي بكر لما ولّاه مصر –:

«احذروا يا عباد الله الموت وسكرته، وأعدّوا له عدّته، فإنّه يفجأكم بأمـر عظيم، بخير لا يكـون معه شرّ أبداً، أو بشرٍّ لا يكون معه خير أبداً... إنه ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتّى يعلم أيّ المنزلتيـن يصل، إلى الجنّـة أم إلى النار، أعدوّ هو لله أم وليّ له، فإن كان وليّاً لله فتحت له أبواب الجنّة وشرّعت له طرقها ورأى ما أعدّ الله له فيها، ففرغ من كلّ شغل ووضع عنه كلّ ثقل، وإن كان عـدوًّا لله فتحت له أبواب النار وشرّعت له طرقها ونظر إلى ما أعدّ الله له فيها، فاستقبل كلّ مكروه وترك كلّ سرور.....»[1]

محاور الموضوع

أحوال سكرات الموت

وعن الإمام علـيّ عليه السلام – في وصفه لسكرات الموت –:

«اجتمعت عليهـم سكرة الموت وحسرة الفـوت، ففترت لها

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٧٣.

أطرافهم، وتغيّرت لها ألوانهم. ثمّ ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحيل بين أحدهم وبين منطقه، وإنّه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحّة من عقله وبقاء من لبّه، يفكّر فيم أفنى عمره، وفيم أذهب دهره، ويتذكّر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبها، وأخذها من مصرّحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها، ويتمتّعون بها، فيكون المهنأ لغيره والعب ء على ظهره، والمرء قد علقت رهونه بها، فهو يعضّ يده ندامة على ما أصحر له عند الموت من أمره، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيّام عمره، ويتمنى أنّ الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه ! فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتّى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يردّد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم، ولا يسمع رجع كلامهم. ثمّ زاد الموت التياطا به، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله»[1]..

(١) نهج البلاغة، ج١، ص ٢١٢.

أهوال سكرة الموت

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾[1].

١- شدّة الألم: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف**»[2].

وعن عليّ عليه السلام: «**والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشدّ من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألّم كلّ عرق منه على حياله**»[3].

٢- فوق الوصف والتعقّل: عن الإمام عليّ عليه السلام: «**إنّ للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة، أو تعتدل على عقول أهل الدنيا**»[4].

فأيّ وصفٍ لغمرات الموت إنّما هو تشبيه وتصوير لمقاربة الواقع وحقيقته، لكن لا يمكن لأيّ وصفٍ أن يعطي الحقيقة كما هي في الواقع لأنّها أكبر من أن توصف بالكلمات والصفات.

---

(١) القيامة ٢٦ ـ ٣٠.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٧٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٧١.
(٤) م.ن، ج٤، ص ٢٩٧١.

٣- الجزع والخوف: فإنّ شدّة الموت وحدها لو يعاينها الإنسان لكانت كافيةً لاستقامته والتزامه وعدم الإبتعاد عن الطاعات، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**فإنّكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم، وسمعتم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يُطرح الحجاب**»[١].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو أنّ البهائم يعلمن من الموت ما تعلمون أنتم، ما أكلتم منها سميناً**»[٢].

٤- قرب الشيطان منه: فهي اللّحظة التي يأمل الشيطان حرف المؤمن عن ولاية أهل بيت العصمة عليهم السلام، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**احضروا موتاكم ولقّنوهم لا إله إلا الله وبشّروهم بالجنّة، فإنّ الحليم من الرجال والنساء يتحيّر عند ذلك المصرع، وإنّ الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع**»[٣].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٧٢.
(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٧٢.
(٣) م.ن، ج٤، ص ٢٩٧١.

٥- ملـك الموت: قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

ولعلّ من أكبر سكـرات الموت مواجهة ملك الموت الذي أوكله الله قبض الأرواح، هذا الملك الذي يتجلّى لكلّ إنسان بما يتناسب مع حقيقته وجوهره، ثمّ إنّ الله أعطاه من القدرة ما قدّره على قبض الأرواح في أيّ مكان من الأرض، فعن عليّ عليه السلام: «**قيل لملك الموت عليه السلام: كيـف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة؟. فقال: أدعوها فتجيبني. قال: وقال ملك المـوت عليه السلام: إن الدنيا بين يديّ كالقصعة بين يدي أحدكم، يتناول منها ما يشاء، والدنيا عندي كالدرهم في كف أحدكم يقلبه كيف شاء**»[2].

وفي حوارٍ لافـت لأمير المؤمنين عليه السلام مع الزنديق الذي ادعى التناقض في القـرآن -: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وقوله: ﴿يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ و ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ و ﴿تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ «**فهو تبارك وتعالى**

(١) السجدة ١١.

(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٦٣.

أجلّ وأعظـم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعلـه، لأنّهم بأمره يعملون... فمـن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّى قبضـ روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتونه منسـوب إليه، وإذا كان فعلهـم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء»[1].

ما يهوّن الموت وسكراته

إنفاق المال: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قدّم مالك أمامك يسرّك اللّحاق به**»[2].

فمساعـدة الفقراء والتحنّـن عليهم وكسوتهم فـي الشتاء والصيـف ممّا يخفف سكرات الموت، وفي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من كسا أخاه كسوة شتاءٍ أو صيف كان حقاً علـى الله أن يكسوه من ثياب الجنّـة، وأن يهوّن عليه سكرات**

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٦٣.
(٢) م.ن، ج٤، ص ٢٩٧٢.

الموت وأن يوسع عليه في قبره»[1].

الإبتعاد عن المعاصي: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- لرجل وهو يوصيه -: «**أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت**»[2].

صلة الرحم وبرّ الوالدين: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أحبّ أن يخفّف الله عزَّ وجلَّ عنه سكرات الموت، فليكن لقرابته وصولاً وبوالديه بارًّا، فإذا كان كذلك هوّن الله عزَّ وجلَّ عليه سكرات الموت ولم يصبه في حياته فقر أبداً**»[3].

وفي الروايات أمورٌ كثيرة تهوّن سكرات الموت منها قراءة سورة الزلزلة والمواظبة على الفرائض اليوميّة والإكثار من قراءة آية ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا... ﴾، والمواظبة على تسبيح الزهراء عليها السلام وقراءة سورة المؤمنون كلّ يوم جمعة وغير ذلك ممّا يُشوّق المرء للقاء ربّه، فقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام: «**شوّقوا أنفسكم إلى نعيم الجنّة تحبّوا الموت وتمقتوا الحياة**».

(١) الكافي، ص ٢٠٤.
(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٩٧٢.
(٣) المصدر نفسه، ج٤، ص ٢٩٧٢.

المحاضرة الخامسة

التزود للآخرة

تصدير الموضوع:

قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[1].

(١) البقرة ١٩٧.

الهدف:

التنبيه على أنّ الهدف من الدار الدنيا تزوّد الإنسان لآخرته قبل حلول الموت.

المقدّمة

عن الإمام عليّ عليه السلام – لمّا أشرف على القبور وهو يرجع من صفّين –: «**يا أهل الديار الموحشة، والمحالّ المقفرة، والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق. أمّا الدور فقد سُكنت، وأمّا الأزواج فقد نُكحت، وأمّا الأموال فقد قُسمت. هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أنّ خير الزاد التقوى**»[1].

محاور الموضوع

الحثّ على التزوّد للآخرة

لعلّ أهمّ ما في حياة الإنسان أن يعي دوره جيّداً في هذه الحياة الدنيا وأنّها الدار التي ينبغي أن يكسب بها نفسه للآخرة، فعن الإمام عليّ عليه السلام: «**تزوّدوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غداً**»[2].

(١) نهج البلاغة، ج٤، ص ٣١.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٩٦٨.

فالدنيا إن كانت كذلك كانت نعم الدنيا، وإن لم تكن كذلك كانت دار فقـر ولو ملكت أطرافها وكلّ مالها، فعن الإمام عليّ عليه السلام: **«إنّ الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها»**[1].

فهي الفرصة القصيرة للتزوّد للأبد، فعن الإمام عليّ عليه السلام: **«تزوّدوا في أيّام الفناء لأيّام البقاء، قد دُللتم على الزاد، وأُمرتم بالظعن، وحُثثتم على المسير»** [2].

وعنـه عليه السلام: **«ألستم فـي مساكن مـن كان قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً؟.. تعبّدوا للدنيا أيّ تعبّد، وآثروها أيّ إيثار، ثمّ ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع»** [3].

وعنـه عليه السلام: **«إنّمـا الدنيا منتهى بصـر الأعمى، لا يبصر ممّـا وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره ويعلم أنّ الدار وراءها، فالبصيـر منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزوّد، والأعمى لها متزوّد»**[4].

---

(١) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٩٦٨.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٩٦٨.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٩٦٨.
(٤) م.ن، ج٣، ص ٢٩٦٨.

وعنه عليه السلام: «**إنّ الدنيا لم تُخلق لكم دار مقام، بل خُلقت لكم مجازاً لتزوّدوا منها الأعمال إلى دار القرار**»[1].

خير الزاد

ولطالما كان أمير المؤمنين يحثّ أصحابه على التزوّد من هذه الدار الدنيا وأن يستقلّ المرء زاده، فما أروع قوله عليه السلام إلى أربعة أمور أساسيّة: «**آه! من قلّة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد**»[2].

نعم لأنّ قلّة الزاد وكثرته ترتبطان بطول الطريق وقصره وبعد السفر أو قربه وعظيم ما ترد عليه أو ضعفه، فإذا كان الورود على الحساب فجديرٌ بالمرء أن يستصغر عمله ويستقلّ زاده.

التقوى: عن عليّ عليه السلام: «**لا خير في شيء من أزوادها إلّا التقوى**»[3].

عنه عليه السلام - إذا صلّى العشاء الآخرة ينادي الناس ثلاث مرّات حتّى يسمع أهل المسجد: «**أيّها الناس تجهّزوا رحمكم**

(١) م.ن، ج٣، ص ٢٩٦٨.
(٢) نهج البلاغة، ج٤، ص ١٧.
(٣) نهج البلاغة، ج١، ص ٢١.

الله، فقد نودي فيكم بالرحيل، فما التعرّج على الدنيا بعد نداء فيها بالرحيل؟! تجهّزوا رحمكم الله، وانتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزاد وهو التقوى» [١].

صالح الأعمال: عن عليّ عليه السلام: **«إنّك لن يغني عنك بعد الموت إلّا صالح عمل قدّمته، فتزوّد من صالح العمل»** [٢].

وعنه عليه السلام – وكان كثيراً ما ينادي به أصحابه –: **«تجهّزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل، وأقلّوا العرجة على الدنيا، وانقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد، فإنّ أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مهولة، لا بدّ من الورود عليها، والوقوف عندها... فقطّعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى»** [٣].

وعنه عليه السلام: **«فليعمل العامل منكم في أيّام مهله قبل إرهاق أجله... وليتزوّد من دار ظعنه لدار إقامته»** [٤].

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى ثلاثة أمور أساسيّة تشكّل خير الزاد، فلا ينبغي الغفلة عنها في دار الدنيا، الاجتهاد في

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٩٦٨.
(٢) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٩٦٨.
(٣) م.ن، ج٣، ص ٢٩٦٨.
(٤) م.ن، ج٣، ص ٢٩٦٩.

طاعــة الله، والاستعــداد للقاء الله والتزوّد لمجــاورة الله فيقول عليه السلام: «**عليكــم بالجــدّ والاجتهــاد، والتأهّــب والاستعداد، والتزوّد في منزل الزاد**»[1].

علّة كراهة الموت

ولكراهة الموت ارتباط وثيق بعدم التزوّد من الدنيا، بل لعلّ ذلــك يصلح أن يكون مؤشّراً يقيس به المرء تزوّده، فكلما كره الموت كان ذلك دليلاً على قلّة الزاد، وكلّما أحبّ الموت كان ذلك مؤشّراً على وفرة الزاد، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- لرجل سأله عــن علّة كراهة الموت: «**ألك مال؟ قال: نعم، قال: فقدّمته؟ قال: لا، قال: فمن ثَمَّ لا تحبّ الموت**»[2].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضا يشير إلى نفس المعنى لكن بقرينة أنّ المرء يحــبّ أن يبقى مع ما يحبّ فيقــول لأحدهم: «**هل لك مال؟ فقدِّم مالك بين يديك، فـإنّ المرء مع ماله، إن قدّمه أحبَّ أن يلحقه، وإن خلّفه أحبّ أن يتخلّف معه**»[3].

---

(١) م.ن، ج٣، ص ٢٩٦٨.
(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٩٧٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٩٧٢.

وعن الإمام الحسن عليه السلام في علّة كراهة الموت: «**لأنّكم أخربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، وأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب**»[1].

فمن تزوّد وأحسن التزوّد أحبّ الإنتقال وانتظره وتمنّاه، ومن لم يتزوّد كره ذلك وفرّ منه، لكنّه فرار قصير وسرعان ما سيدركه الأجل.

وعن الإمام الجواد عليه السلام -لمّا سئل عن علّة كراهة الموت-: «**لأنهم جهلوه فكرهوه، ولو عرفوه وكانوا من أولياء الله عزَّ وجلَّ لأحبّوه، ولعلموا أنّ الآخرة خير لهم من الدنيا، ثمّ قال عليه السلام: يا أبا عبد الله ما بال الصبيّ والمجنون يمتنع من الدواء المنقّي لبدنه والنافي للألم عنه؟ قال: لجهلهم بنفع الدواء، قال: والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّ من استعدّ للموت حقّ الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما إنّهم لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه وأحبّوه أشدّ ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات واجتلاب السلامات**»[2].

---

(١) م.ن، ج٣، ص ٢٩٧٢.

(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٩٦٠.

الفهرس

المقدّمة ٥

الباب الأول: جهاد النفس والاستقامة ٩

المحاضرة الأولى: جهاد النفس ١١

المقدَّمة ١٢

خصائص جهاد النفس ١٢

سبل جهاد النفس ١٨

المحاضرة الثانية: أساليب جهاد النفس وأسلحته ٢١

المقدَّمة ٢٢

المحاضرة الثالثة: الاستعانة بالله ٣١

المقدَّمة ٣٢

بركات الاستعانة بالله ٣٨

المحاضرة الرابعة ٤١

الاتعاظ بالعبر ٤١

المقدَّمة ٤٢

الحثّ على الاعتبار ٤٢

ما ينبغي الاعتبار به ٤٤

المحاضرة الخامسة: الاتعاظ بالعبر ٤٩

المقدّمة ٥٠

المحاضرة السادسة: أهميّة النوافل.....٥٧
المقدّمة ٥٨
تقديم الفرائض على النوافل ٥٨
أسرار النوافل وبركاتها.....٦٠
المحاضرة السابعة: بواعث العمل عند المسلم.....٦٥
المقدّمة.....٦٦
بواعث العمل لدى الإنسان المؤمن ٦٦
المحاضرة الثامنة: الإستقامة في الاسلام.....٧٣
المقدّمة.....٧٤
فضيلة الاستقامة.....٧٤
ثمرة الاستقامة: ٧٦
عاقبة عدم الاستقامة ٧٨
المحاضرة التاسعة: أوجه الاستقامة وتحدّياتها.....٨١
المقدّمة.....٨٢
أسباب الإنحراف عن الإستقامة ٨٥
.....٨٩

الباب الثاني: الفتنة علاماتها وسبل النجاة فيها ٨٩
المحاضرة الأولى: أسباب وقوع الفتن ٩١
المقدّمة ٩٢
أسباب وقوع الفتن.....٩٢
وصف بدايات الفتنة ٩٥
المحاضرة الثانية.....١٠١
الفتنة وأربابها: الصفات والخصائص.....١٠١
المقدّمة.....١٠٢
خصائص وصفات أرباب الفتنة.....١٠٢

المحاضرة الثالثة: سبل النجاة من الفتنة ١١١
المقدّمة ١١٢
سبل النجاة في الفتنة ١١٢
المحاضرة الرابعة: سبيل المواجهة مع أحداث الفتنة ١٢١
المقدّمة ١٢٢
سياسات المواجهة ١٢٢
المحاضرة الخامسة: نتائج الفتنة ١٢٩
نتائج الفتنة وآثارها ١٣٠

الباب الثالث: الإنفاق في سبيل الله (١) ١٣٧
المحاضرة الأولى: الإنفاق في سبيل الله (١) ١٣٩
المقدّمة ١٤٠
أمثال الإنفاق في القرآن ١٤٠
الحاجة إلى أجر الإنفاق ١٤١
وعد الله بالخلف في الإنفاق ١٤٣
بقاء ما أنفق وفناء ما لم ينفق ١٤٤
من لم ينفق في طاعة الله ينفق في معصيته ١٤٥
المحاضرة الثانية: الإنفاق في سبيل الله (٢) ١٤٧
المقدّمة ١٤٨
فيما يبطل الإنفاق ١٤٨
فضل إنفاق المقتر ١٤٩
التحذير من كنز المال ١٥٠
من لا تقبل نفقته ١٥١
آثار الإنفاق ١٥٣
المحاضرة الثالثة: حسن التدبير ١٥٧
المقدّمة ١٥٨

أهميّة التدبير ١٥٩
طرق حسن التدبير ١٦٠
آثار سوء التّدبير ١٦٤

الباب الرابع: بركات إكرام اليتيم ١٦٥
المحاضرة الأولى: كفالة اليتيم ١٦٧
المقدّمة ١٦٨
الأنبياء والأولياء متكفّلو الأيتام ١٦٨
التكفّل ثقافة عامّة ١٦٩
ضوابط التكفّل ومعاييرُه ١٧٠
أكل مال اليتيم ١٧٣
المحاضرة الثانية ١٧٧
أشكال رعاية الأيتام ١٧٧
المقدّمة ١٧٨
بركات إكرام اليتيم ١٨١

الباب الخامس: فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله ١٨٧
المحاضرة الأولى: فضل الجهاد ١٨٩
المقدّمة ١٩٠
حبّ الجهاد ١٩١
التحريض على الجهاد ١٩٢
ترك الجهاد ١٩٤
المحاضرة الثانية: مقام المجاهدين(١) ١٩٧
المقدّمة ١٩٨
فضل أعمال المجاهدين ١٩٨
المحاضرة الثالثة: حقوق المجاهدين ٢٠٥

المقدّمة ٢٠٦
حقوق المجاهدين ٢٠٦
ذم إيذاء المجاهدين..... ٢١٢
المحاضرة الرابعة: ثواب المجاهدين ٢١٥
المقدّمة ٢١٦
ثوب المجاهدين..... ٢١٧
المحاضرة الخامسة..... ٢٢٣
مقام الشهادة..... ٢٢٣
المقدّمة ٢٢٤
ثواب طلب الشهادة ٢٢٤
الشوق للشهادة..... ٢٢٥
حياة الشهيد ٢٢٦
فضل الشهادة ٢٢٦
أفضل الشهداء ٢٣٠
تمني الشهيد ٢٣٠
المحاضرة السادسة: مقام الشهادة(٢)..... ٢٣١
المقدّمة ٢٣٢
تقدير الشهادة والموت ٢٣٢
من لهم حكم الشهداء..... ٢٣٣
الشهادة في عصر الغيبة..... ٢٣٦

الباب السادس: الموت والاستعداد للآخرة ٢٣٩

المحاضرة الأولى: تفسير الموت في كلمات المعصومين عليهم السلام ٢٤١
المقدّمة ٢٤٢
الموت في كلمات المعصومين عليهم السلام ٢٤٢
موت المؤمن..... ٢٤٦

موت الكافر ٢٤٨
المحاضرة الثانية: الاستعداد للموت..... ٢٤٩
المقدّمة ٢٥٠
التأكيد على الاستعداد للموت ٢٥٠
تفسير الاستعداد للموت ٢٥١
بركات الاستعداد للموت..... ٢٥٣
تمنّي الموت ٢٥٥
عدم التأهّب للموت..... ٢٥٦
المحاضرة الثالثة: ذكر الموت..... ٢٥٩
المقدّمة..... ٢٦٠
ضرورة ذكر الموت ٢٦٠
بركات ذكر الموت..... ٢٦٢
المحاضرة الرابعة: سكرة الموت ٢٦٧
المقدّمة..... ٢٦٨
أحوال سكرات الموت..... ٢٦٨
أهوال سكرة الموت ٢٧٠
ما يهوّن الموت وسكراته ٢٧٣
المحاضرة الخامسة: التزود للآخرة..... ٢٧٥
المقدّمة..... ٢٧٦
الحثّ على التزوّد للآخرة ٢٧٦
خير الزاد ٢٧٨
علّة كراهة الموت ٢٨٠

الفهرس ٢٨٣